الدكتور حسين نصيف

مذكرات طالب

الطبعة الرابعة



الدكتور حسين نصيف

مذكرات طالب

الطبعة الرابعة

١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م

❋ رسوم الكاريكاتير للفنان عبدالعزيز رمال ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

الى زملائي في الدراسة ...

والى اخواني الحاليين .

بناء على طلب الكثيرين من الأصدقاء والزملاء أقــدم هذه المذكرات التى ضمنتها الحــوادث الضاحكة والجادة التى مرت بنا أيام الدراسة وأرجو أن تتاح لكل واحد منهم الفرصة ليسجل مذكراته في عهد التلمذة .

والله الموفق ؟

الدكتور حسن نصيف

مقدمة ايحائية للطبعة الأولى

للكاتب الساخر أحمد قنديل

لقد عرفت الدكتور حسن نصيف طالباً في مدرسة الفلاح حين كنت أحد الأساتذة الدارجين بها طلاباً بين المكاتب والأدراج ، والناشئين بين الفصول ـ والأحواش ـ من بناياتها الكائنة في الجزء الشمالى الشرقي من مدينة جدة القديمة في عهدها لما قبل هدم السور القديم ذى الأبراج والأبواب ..

وتميزت المعرفة به حينذاك ـ على أنه الطالب ذو الدماغ الكبير ـ والذكاء الحاد .

كما قرأت الدكتور كاتباً ـ في جريدة « البلاد » السعودية لمذكرات طالب سابق ـ يرمز لنفسه ـ بحكم المهنة ! ـ بابن سينا ـ بجامع الحكمة ـ أو الدكتور ... في كل ...

وكانت مذكرات هذا الطالب السابق بعض ما أحرص على قراءته من الجريدة التى كنت أحد أفراد أسرتها ـ من الباطن ! ـ بشغف واعجاب .

واليوم ـ يريد الأديب الأستاذ محمد سعيد باعشن أحد أصحاب الأضواء وسلسلتها الأدبية أو الفقرية ـ أن أكتب مقدمة المذكرات للقراء .

ويخيل الىّ ـ بتعبير الأستاذ عزيز ضياء ـ وحسب التحريات البوليسية للصديق الأخ عبد المجيد شبكشى ـ أن اصطفائى لهذه المهمة ـ أنا الذى لم تسجل علىّ أية سابقة في صحائف سوابق كتابة المقدمات ـ أن المبرر المعقول هو جناية معرفتى القديمة للدكتور ـ دراسة وقراءة ! ـ

ولعل المبرر المنقول هو كما طالعتنى به نظرات الأديب ناشر المذكرات ـ في ضحكات ملفوفة ـ رابطة الأسلوب « الفكاهي » بينى وبين الدكتور .

فالتصوير الفكاهي الساخر ـ هو العنصر السائد ـ أو نقطة الارتكاز في كل فصول هذه المذكرات ...

... ثم ان صاحبها علم من أعلام « النكتة » الفنية ـ تدل على ذلك أزجاله ومساجلاته البارعة ـ في هذا الميدان مع زميليه : الفار والحداد ، أو بادكوك والجمجوم !

و « هو » أو أنا ... ولا ضير عليك من هذه الضمائر المنفصلة ـ أو المتصلة بنا ـ صاحب القصائد الفكاهية ـ أو الشعبيات ـ كما سماها أخيراً عم الجميع الأستاذ السيد أحمد السباعي ـ في جريدة « الندوة » اليومية التى هي احدى التوائم في التاريخ الحديث لصحافتنا الموحدة !.

والشعبيات في علم الانساب للتاريخ ـ ولعلمك الشخصى ـ فصل من فصول صحافتنا القديمة قبل التوحيد ، فقد كانت تنشر من حوالى ربع قرن من الزمان ، في جريدة « صوت الحجاز » الأسبوعية ...

والفرق الوحيد بينها ـ أي شعبياتنا القديمة ـ وبين أزجال الدكتور ومساجلاته مع زملائه الفنانين العصريين ، أن الأولى صيغت باللهجة الحجازية البلدية غير الفصحى الا فيما يتعلق بالوزن وقواعد الاعراب في القافية ... وأن الثانية صيغت في ألفاظها وصورها باللهجة المصرية بقافية ـ أو من غير قافية !.

أرجح أن ذلك هو المبرر لاختيارى لكتابة مقدمة مذكرات الطالب السابق ، والعلم كالمعنى في بطن الناشر !

وعلى الأسلوب القديم ، في قصص عنترة ، وأبو زيد الهلالى ، والزير سالم ، فهذا ما كان من أمر المقدمة وأسباب اختيارى لها ، على تضارب في الأقوال والأخبار ..

أما ما كان من أمر المذكرات نفسها ، فانها الآن وقد طبعت جاهزة حاضرة بين يديك ، فلا تنتظر منى أيها القارىء أن أساير التقليد المتبع في الاشارة ، أو النقد ، أو التعليق ، عليها أو عليك !.

لأنّنى العدو الأول من قديم الزمان لهذا « المتّبع » أفندى في الشروح والتعليقات ، الا أننى كنت ماذا ؟!

كنت أفضل ـ أولا ـ أن يقوم الدكتور باجراء عملية «الزائدة» لاسم المذكرات ، لتكون مذكراتي ، أو مذكرات طالب ، بدلا من مذكرات طالب سابق !..

فهو فيما أعتقد ـ باعتباره خريج بعض معاهد التجميل في القاهرة ـ أو برحة نصيف في العلوى ـ أحد دعاة الرشاقة والنحافة والايجاز !.

وأنا ممن لا يحتملون في التسميات ، والعناوين أكثر من الكلمة الواحدة ـ على مذهب الصاوي ـ في « ما قلّ ودلّ » ان كان ذلك في الامكان ..

كما كنت أرجو ـ ثانياً ـ أن تزوّد أو تزيّن مذكراته عند الطبع ـ بالطبع ! ـ ببعض ما في « ألبوم » الحوادث والمناسبات للصور التذكارية ـ من صور ـ ورسوم .

ولعل الدكتور مستجيب لنا في الطبعة الثانية ـ ان زاد اليوم عدد الزبائن القراء في بلادنا ، أو زادت مقطوعية الأدب الحديث هنا وهناك أو لعله يتدارك هذا النقص لضمان الرواج ـ في مذكراته الجديدة بصفته طالباً لامعاً من طلاب هذه المدرسة الكبرى ـ كما يسمون « الحياة » اليوم .

وبعد ـ جرياً على سنن خطباء المنابر الأفذاذ ـ وهي تقفيلة مباركة .. فقد أصبحت موضة المذكرات ـ عند المدنيين من الفنانين والفنانات على السواء ، لوناً طريفاً وشائقاً من ألوان النشاط الفكرى

والترغيب الى رصد الحوادث ، وتسجيل الرحلات ، وغايتها فيما نراه الدعاية والترفيه !..

كما أنها عند العسكريين ـ أو السياسيين الكبار ـ أسرار ما وراء الحوادث ، والأسرار .. والتصوير الزمنى لفظياً للمستندات والوثائق السرية ـ وحياة ما وراء الطبيعة الظاهرة والحياة العادية ـ وهدفها فيما نعتقد ازجاء الفراغ ، فازدياد رصيد ، الشهرة والكسب المشروع ..

ولما كانت المذكرات ـ ولا تزال ـ القاعدة الذهبية لهذا وما شاكل ، والسلم الموسيقى في تاريخ نشأة القصص ، والرحلات ، والروايات .. ولما كانت القصة في تاريخ الأدب الحديث اليوم ـ قمة الأدب السائد والمقروء عند الجيل الصاعد ـ والهابط على السواء ، فلعل الدكتور على القياس المسلسل اياه ، يفاجئنا بعد أعوامه الأولى في مكة والأخيرة في الرياض ـ بقصة أو أكثر من القصص الطويل أو القصير .

تلك بعض ميزات المذكرات وكتابتها ـ بما فيها مذكرات طالب سابق ، وعقباها .

والعاقبة لديكم في المسرات ؟

أحمد قنديل ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م

((مقلب))

أى والله انه مقلب من جريدة « البلاد السعودية » ، والا فكيف أتورط في نبش هـذه الذكريات وقـد تكون فيها أسرار تتعلق بى أو بأصـدقائى ؛ وأنا أعرف أن أسلوبى والحوادث التى سوف أسردها ستكشف عن اسمى للخاصة ولـكن ثقتى في سرية الاسم عند أسرة التحـرير سوف تريحنى من عناء كثير .

فمثلا أستاذنا السيد ولى الدين أسعد مدير البعثات السعودية بمصر سابقاً ومن بعده من مديرين ومراقبين كم كانوا سيدفعون ثمناً لحرف واحد أخطه عن ذكريات البعثة في مصر وما يتبع ذلك من كشف يؤكد عن أشخاص مدبرى الحوادث في البعثة ثم العدد الطيب الذى أعتز به من تلامذتى الذى كنت أدرس لهـم في كل من مدرسـة الفلاح بجدة ومدرسة تحضير البعثات بمكة ؛ أية خيبـة أمل سوف يواجهونها في أستاذهم السابق الذى كان يبدو لهم كالملاك .

وأخيراً أولادى .. ان كل واحد منهم عبارة عن شقاوة متحركة وأنا أربيهم تربية حديثة قوامها القدوة الحسنة والحرية في المناقشـة وعدم الاسـتبداد بالرأي .. كيف تستمر هـذه القواعـد التربوية في التطبيق عليهم لو


البلاد

عرفوا حياة أبيهم على حقيقتها أيام التلمذة دون رتوش .. هل سيستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أم يقولون انّا وجدنا آباءنا على أمة وانّا على آثارهم مهتدون ؟.

حقيقة انه مقلب .. ولكن رب ضارة نافعة . لعل أصدقائى الذين اتهمونى طويلا بتدبير المقالب يؤمنون أخيراً بسذاجتى وكيف وقعت من أول وهلة فريسة لهذا المقلب الظريف .

□■□

أول اتصالى بالصحافة

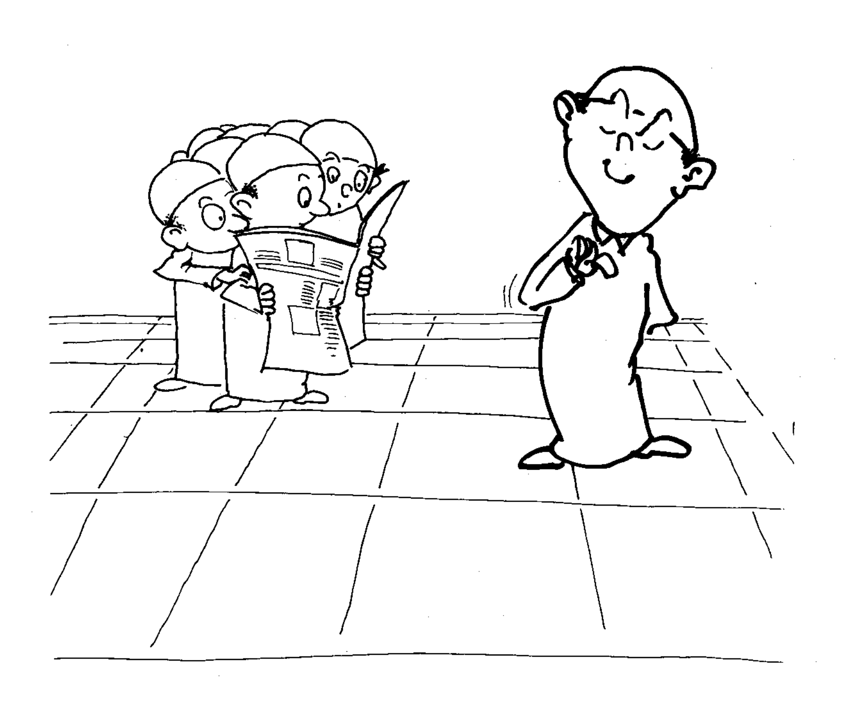
ان الذكريات تستمد من الذاكرة لا من كتاب مكتوب، لذلك سوف أنشرها دون مراعاة لترتيب التواريخ ، بل وفقاً لما تسعفنى به الذاكرة ..

كان ذلك في عام ١٣٥٢ هـ على ما أذكر وكنت طالباً بمدرسة الفلاح بجدة وعمرى اثنتا عشرة سنة حين زارنا خالى ومعه ورقة كتب فيها مقالا بعنوان « الغرفة الفلاحية لتعليم اللغة الانجليزية بجدة » وموقعة بتوقيع (فلاحى) والكلمة فيها دعاية لأستاذنا الأستاذ « علي عيد » أثر عودته من الهند وافتتاحه مدرسة ليلية لتعليم اللغة الانجليزية ، وطلب خالى أن أبعثها الى جريدة محلية لنشرها كأنها صادرة عنى فاستصوبت هذه الفكرة .

وما أن نشرت هذه الكلمة حتى بدأت أتيه أمام زملائي وأشير اليهم من طرف خفي أننى صاحب الكلمة .

وحثني ما قابلني به زملائي على مواصلة السير في الطريق ..

ولكن خالى لم يعد يأتينى بكلمات جاهزة للنشر ، فما العمل .. عمدت الى كتاب (أسلوب الحكيم) الذى



كان والدى قد أهداه الىّ واقتبست منه اقتباساً حرفياً مقالا عنوانه (العلم) ووقعته باسم (المتعلم الفلاحي) ونشرته الجريدة التى كان يشرف عليها أحد أقربائي [1] وأخذ الزملاء يتهامسون ويتساءلون عن هذه النجابة الانشائية الطارئة .. وانطلت الحيلة على والدى فزودنى بمجموعة جديدة من الكتب الأدبية .

ثم رأيت أن أستمر وأن لا أحرم القراء من هذا الانتاج الأدبي الرفيع .. فعمدت الى (أسلوب الحكيم) مرة أخرى واقتبست منه مقالا عن (الأخلاق) اقتباساً حرفياً وبعثته الى الجريدة ، ويظهر أن قريبى المشرف على الجريدة أحس بالأمر فلم ير هذا المقال النور حتى يومنا هذا .. وكانت خيبة أمل ، صرفتنى على كره – عن الكتابة في الصحف مدة طويلةٍ ، وحرم الناس من هذا المنهل الثقافي العذب الذى لو استمر لكانت ثقافة القراء في بلادنا قد انقلبت رأساً على عقب ...

ولكن الله سلم !

---

(١) عمى الشيخ محمد صالح نصيف رحمه الله صاحب جريدة صوت الحجاز.

أول درس انجليزي

كنت من محبى لعبة كرة القدم وفي وقت من الأوقات أسست فـــريقاً بجــدة ، وكان والدى يمنعنى من اللعب خشية الحوادث والكسور وخوفاً من المشـــاكل الخلقيـــة . ومع ذلك كنت ألعب على غير علم منه وأراعى الحضور الى البيت قبل المغرب وهو موعـــد حضـــوره والتـــأكد من حضورنا جميعاً .. الى أن حدث ذات يوم أن كانت عندنا مباراة فتأخرت في الحضور الى البيت وأخذت أفـــكر في الاعتذارات التى سأقدمهـــا للوالد خاصة وأن الســـاعة كانت حوالى الثانية عشرة والنصف وهذا تأخير خطـــير يعتـــبر جـــريمة في عـــرف الوالد . وقاربت البيت ولم يسعفني التفكير بعذر مشروع .. فوجدت خادماً بعثـــه والدى للبحث عني .. وهنا فقط جاءتنى فكرة لطيفة .

كان والدى يردد لى بين حين وآخر وصول الأســـتاذ « على عيد » من الهند وأنه سيأخذني يوماً ما الى مدرسته الليلية لتعليم اللغة الانجليزية .. ومنذ بدأ الوالد يذكر لى ذلك وأنا أتهرب منه وأرجو الله ألا يأتي ذلك اليـــوم الذى ينفذ فيـــه هذا الوعد أو على الأصح الوعيـــد .. فكفانى طامة النهار في مدرسة الفلاح ولا داعي لاضافة طامة ليلية أخرى .. ولكنى أردت الخلاص من العلقة في تلك الليلة بأية وسيلة ولو كان فيها خراب بيت بالنسبة



لى .. اذن فأمرى لله واتفقت مع الخـادم على أن يخبر والدى أنه وجدنى متجهاً الى بيت الأستاذ علي عيد فأعادنى للبيت واستمع الوالد الى كلام الخادم وبعد أن كان الشرر يتطاير من عينه توجه الي حانياً مسروراً من هذا الولد النجيب الباحث عن العلم والمعرفة .. وأنب الخادم على غباوته ثم تمنى لى التوفيق .. وأعادنى في التو الى المدرسة الليلية .. وهكذا كنت كالباحث عن حتفه بظلفه وبدأت على الرغم منى أول دروسى الانجليزية ، وكان حضورى الى هذه المدرسة الليلية ستاراً يعفيني من الحضور قبل المغرب فكنت أتمتع بلعبتى المفضلة ثم أتجه وأنا مطمئن الى المدرسة الليلية .

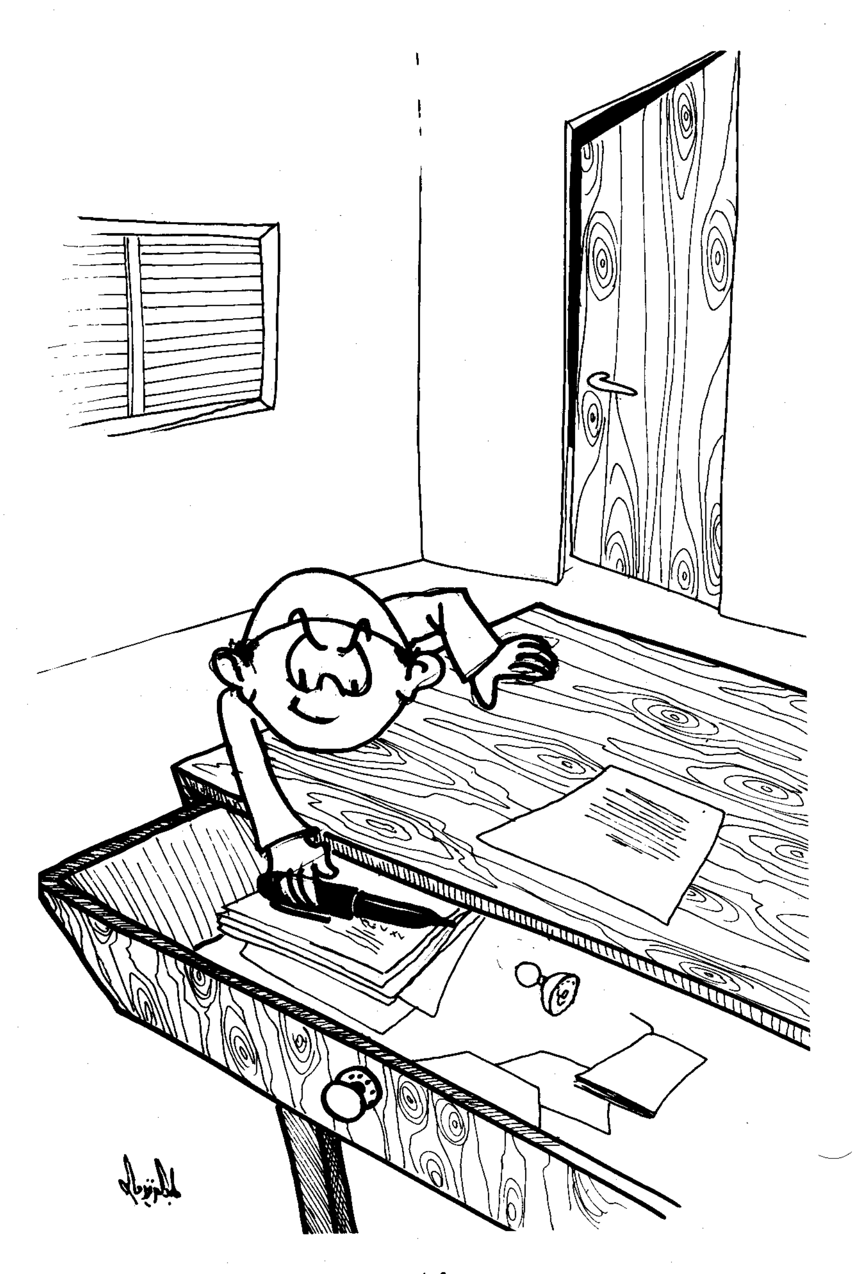
وتحضرنى ذكرى واحدة عن هذه المدرسة .. حصلت في تلك الأيام ــ وكنت في حوالى الثالثة عشرة من عمرى ــ على كتاب يعيده العجوز الى عهد الصبا .. فكنت أقرأ صفحاته في هذه المدرسة في الفترات التى كان الأستاذ علي عيد يدرس لغيري من التلامذة .. ولمحنى الأستاذ .. وصادر الكتاب بعد أن وبخني .. وطبعاً كان هذا الكتاب فرحة بالنسبة له لأنه من الصعب العثور عليه .. وكنت أتخيله وهو يقرأ هذا الكتاب ويتمتع بطرائفه .. وقد تظاهر بغيرته على الأدب والأخلاق .. وبقى الكتاب معه حتى يومنا هذا ، ترى هل يقرأ هذه المذكرات فيعيده الىّ بعد أن أخذت ما فيه الكفاية من درس وموعظة حسنة ؟.

سرقت قلماً

كانت الدراسة في مدرسة الفلاح لا تنقطع طوال العام الا في شهر ذي الحجة لتبدأ في العاشر من المحرم كل عام .

وكنا نحضر الدراسة صباحاً وبعد الظهر صيفاً وشتاء ما عدا شهر رمضان حيث كانت الدراسة لا تستأنف بعد الظهر .. وكان الوالد يتحسر على هذا الضياع في شهر ذي الحجة فيأخذني الى مكتب تجاري كان يعمل به أحد أقربائي لتحسين خطي وحسابي وغير ذلك .. فكنت أقتبس من قريبي ما عنده من خبرة خطية وحسابية الى أن فكرت يوماً في اقتباس أهم بلغة أهل الفن .

كنت في العاشرة من عمري وكانت أقلام الجيب في ذلك الوقت قليلة وربما كانت أقلام الجيب في جدة تكاد تكون معدودة وأصحابها معروفون .. توكلت على الله ووضعت أحد أقلام المكتب في جيبي على سبيل الاقتباس .. وفي اليوم الثاني اكتشفوا ضياع القلم وكنت قد وضعته في البيت في مكان أمين .. وبعد سلسلة من التحقيقات مع موظفي المكتب وخدمه قرروا عمل المندل .. وتبع ذلك القيام بحرب نفسية حامية وليست باردة. وأخذت أفكر في الموضوع جدياً فالمندل لا يخيب ..



ووجدت من الحكمة تجنب عصا الوالد في هذه المناسبة الكريمة : فأخذت القلم ذات صباح ـ وكنت أخرج لشراء مقاضى الفطور ـ وذهبت الى المكتب فوجدته مفتوحاً ووضعت القلم في مكانه .. وخيل اليّ أن أحداً لم يرني .. وهدأت المسألة .. وبقيت زمناً طويلا مؤمناً بفائدة المندل وأنه هو الذى جعلنى أعيد القلم ، مع أنى تبينت فيما بعد أن المندل ما هو الا مؤثر نفساني يؤثر في الضعفاء فيجعلهم يعيدون ما سرقوه اعتقاداً منهم بأن أمرهم مكشوف حتماً .

ولكن ذلك كان درسا طيبا لى فامتنعت عن الاقتباس منذ ذلك الوقت . وكنت أتخيل حادث القلم وما سببه لى من قلق وآلام نفسية في ذلك الوقت فيمنعني ذلك عن التورط مرة أخرى .

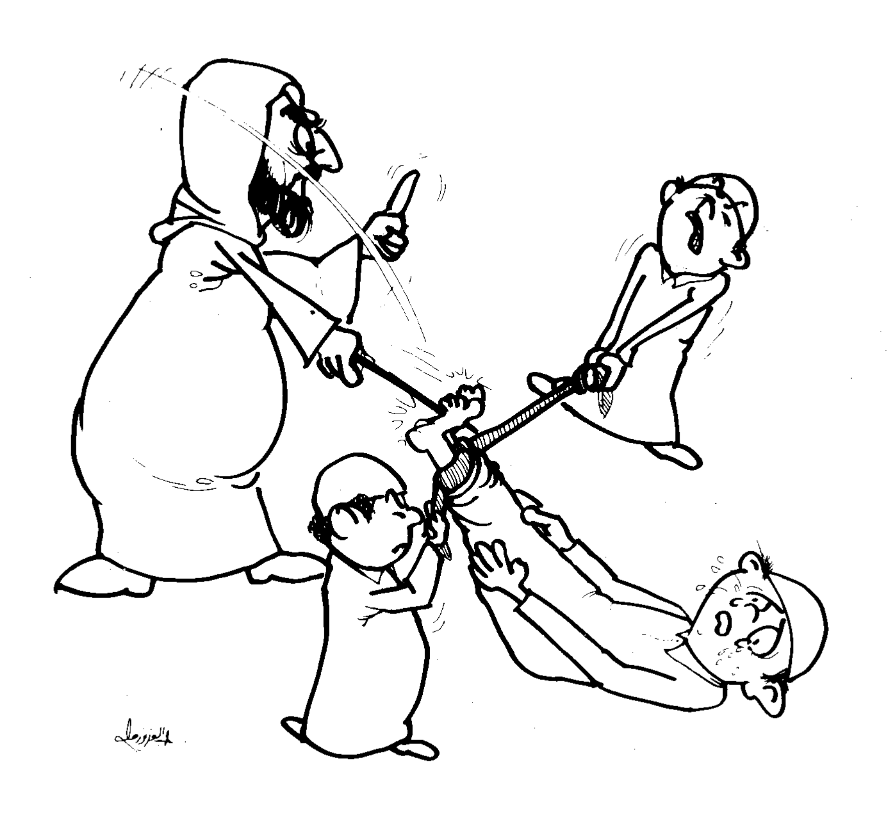
□■□

حبل من الله .. وحبل من الناس

رحم الله عمى فان له معى موقفين لا ينسيان . كانت المرة الأولى وأنا في مدرسة الفلاح بجدة وكان عندنا مدرس خط اسمه « خير الدين » وكان بيني وبين الخط عداء تقليدي لم يكن خطي يُقرأ ولم أكن أعمل الواجبات المنزلية .

وذات يوم طفح الكيل بالمدرس وأعطاني علقة في (الفلكة) بلغت أكثر من خمس وعشرين خيزرانة .. وشكوت الأمر لوالدى في حضور عمى .. فأما الوالد فقد قابل الخبر بالاستحسان التام ، وأما عمى فقد تحمس وكاد أن يذهب الى المدرسة ليضرب المدرس الجبار .. وبعد جدل عنيف بينهما اقتنع الوالد وكتب لمدير المدرسة .. وأعفيت بعدها من حضور حصص الخط حتى جاء أستاذنا الشيخ طاهر الكردي ولنا معه مذكرات سنكتبها فيما بعد .

أما الموقف الثاني الخالد لعمى فقد كان وأنا طالب بمدرسة تحضير البعثات .. كنت قد انتهيت من السنة الأولى وأصابنى ملل من استئناف الدراسة وفكرت فى التوظف أو العمل في المحاماة أسوة بالوالد . وفاتحت والدى في الموضوع في حضور عمي أيضاً . أما الوالد



فقد استنكر الأمر وأما عمي فقد استحسنه وأخذ يضرب الأمثال لوالدى بالأثرياء الاميين وبيَّن له أن العلم ليس ضرورياً وعدد له مزايا الجهل وأمثلته الناطقة .. ولكن الوالد لم يقتنع واستأنفت الدراسة .. وحرمت من نعمة الأمية . من يدرى ! ربما لو استمع الوالد لنصيحة عمي لأصبحت اليوم من أصحاب الملايين الذين يشار اليهم بالأصابع المطعمة بالماس .. أو من أصحاب البنوك الذين يشار اليهم بدفاتر الشيكات وخطابات الاعتماد .. على حد تعبير أولئك الذين يقولون ان العلم والغنى عدوان لا يجتمعان ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه .

ومرة ثانية : رحم الله عمي .

□■□

علمنى أبي

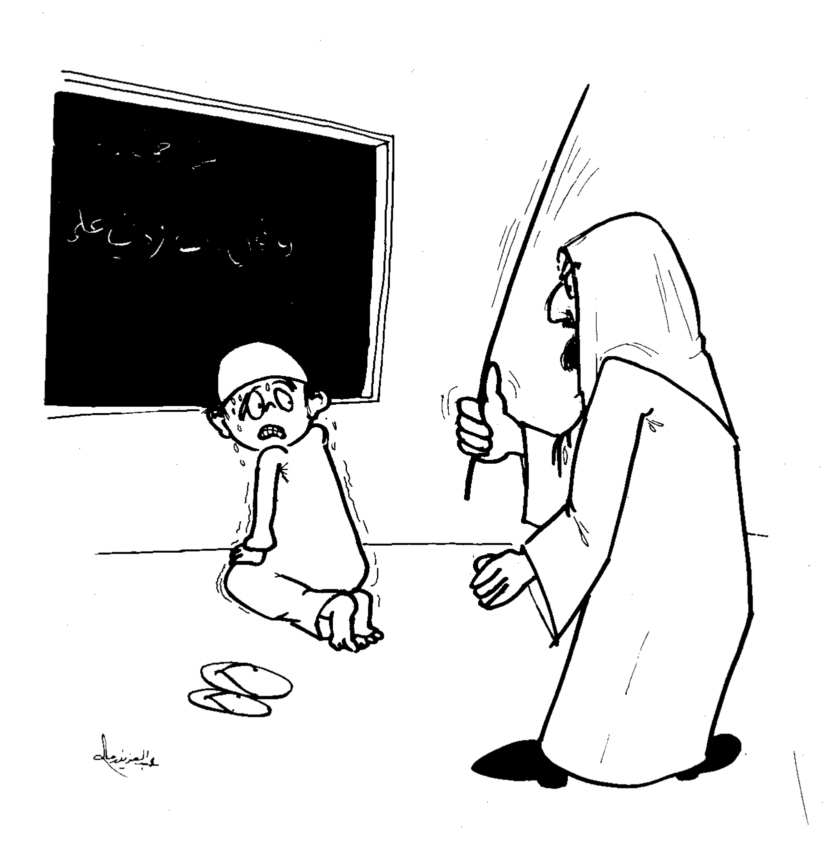
كان والدى أستاذى الأول في الانشاء .. كان خطه ولا يزال لا يُقرأ فكان يكلفني بتبييض مذكراته وقضاياه وعرائضه وكان يكلفني بنسخ الأنظمة التى تنشر في الجرائد في دفتره الخاص .. ومن أسلوبه الانشائي تعلمت الكثير . ومن مكاتباته عرفت كثيراً من المسائل الفقهية .. وعنه تعلمت قاعدة هامة استفدت منها كثيراً في حياتي العملية ولا أزال .. كان بيتنا أشبه بمحكمة : يأتي الشاكي أو الشاكية ـ ويتكلم ويتظلم ويذرف الدموع ونتحمس جميعاً لشكواه حتى نكاد نبطش بخصمه لو وجدناه .. ولكن والدى لم يكن يتأثر اطلاقاً .. بل كان يقول للشاكي عندما ينتهى من شكواه (هذه نصف الحقيقة على الأقل وسوف نستمع للطرف الآخر عسى أن نصل الى الحقيقة كاملة) .. وفعلا كان يتحقق ظنه كثيراً .. وقد وعيت هذه الفكرة فلست الآن أصدق طرف الخصومة ولا أصدر حكمي على شيء حتى أستمع الى جميع أطراف القضية .. وعلمني والدى الصبر على الشدائد .. كنت موضع سره ومنذ العاشرة من عمرى كنت أمين صندوقه في حضوره وسفره فكنت أعرف دائماً أحواله الاقتصادية وما يعانيه من شدة أحياناً .. وكان يلذ لى التنقيب في أوراقه الخاصة في غيابه .. فوعيت

كثيراً من دروس الحياة وغيرها ومن الصبر على الضائقات، ومن الكفاح في سبيل الحق والعقيدة كما تعلمت أن أمد رجلي على قدر فراشي ، وألا أمد يدي لمخلوق ما وما أكثر ما يعيه الانسان في الحياة من مدرسته ومن حياته نفسها ولكن المدرسة الكبرى هي مدرسة الوالد لو أعطيناها حقها من العناية والدرس .



بركاً على الركب

استولت الدهشة علينـــا جميعـــاً نحن طلاب الســـنة السادسة الفلاحيـــة ونحن نرى أســـتاذنا الوديع الحبيب الشيخ طاهر الكردي يدخل علينا وفي يده عصا ؛ وأحسنا الظن في البدء فقلنا لعلها عصا يتوكأ عليها أو على الأصح تتوكأ عليه فقد كانت طويلة جداً ولكنا فوجئنا بالأستاذ وهو يطالبنا بواجبات الخط ومن لم يقدمها يخاطبه قائلا (بركاً على الركب) ثم ينهال على رجليه بالضرب الشديد الا اذا استطاع التلميذ أن يعرب هـــذه الجمـــلة اعراباً صحيحاً وكان ذلك لى هو الفرج فقد كنت جيداً في النحو. ولـــكنى أعتقد أن الذى شفع لى أكثر هو صلة الصداقة التى تربط الأســـتاذ بكثير من أفـــراد عائلتنـــا . وكان الأستاذ طاهر من أحب أساتذتنا الينا لولا تلك الحادثة التى طرأت عليـــه وحرنا في تعليلها فمـــا أســـباب ثورة الأعصاب المفاجئة والأســـتاذ ليس متزوجاً وليست لديه عوامل أخرى لاثارة الأعصاب ، كان يدعونا دائماً لداره وفي سنوات الفلاح الأخـــيرة كنا نساعده في نسخ كتابه الأول عن الخط العـــربي ثم أصبحت بينـــه وبين طلابه صداقة عميقة الجذور . كنا في البعثة بمصر فدعانى مع الصديق أســـعد جمجوم الى غرفته بالأزهر وأكلنا عنده يومهـــا (مختوم بامية) من صنع يديه وهو طاه ماهر .



واكتشفنا عند ذاك أنه أستاذ من طلاب الأزهر السابقين وأن غرفته محجوزة في الأزهر بنزل بها كلما سافر الى مصر وقضينا معه ليلة ممتعة بالأزهر مع رئيس الرباط اليمني ـ رحمه الله

وعلى ذكر غرف الأزهر المحجوزة في الأروقة أذكر أن أصدقاءنا المشائخ بابصيل والكعكي والمرزوقي والفدا والمنيعي لا تزال لهم غرف محجوزة في أروقة الأزهر الشريف ينزلون بها كلما سافروا الى مصر ويتمتعون بالجراية اليومية .. ترى لماذا لم نلتحق بالأزهر لنتمتع بهذه الاقامة الأبدية والجراية السرمدية ؟

وعلى ذكر الجراية أذكر أن بعض زملائنا في البعثة بمصر من طلاب الأزهر كانوا يتنازلون عن هذه الجراية للموظف المشرف على تسجيل الحضور والغياب نظير تسجيلهم بين الحاضرين . ولا أريد تسميتهم فان بعضهم يشرف على تربية هذا الجيل المسكين !.

□■□

العصا في ذمة التاريخ

كنت في السنة الثانيـــة بمدرســة الفلاح عندما دخل علينا وكيل المدير وبيده عصاه التقليــدية واستدعاني مع زميلين آخــرين وخرجنا نتعثر في خطانا .. فوجدنا بعض عمالقـــة الطلاب واقفين في الانتظـــار .. وسرعان ما وضعوا في (الفلكة) واحداً واحداً وطلب منا الوكيل أن نضربهم لأنهم شردوا من المدرسة .. فوجمنا وخفنـــا أن نضربهم فينتقموا منا عند الانصراف..ولكن الوكيل هددنا بالضرب ان لم نضربهم ضرباً شديداً نكاية فيهم وزجراً لهم .. ونفذنا الأمر تحت التهديد..وكان الوكيل شديداً لدرجة أنه في ســاعات بعــد الظهر عندما تنتهى عمليات الضرب الصباحية ولا يجد ما يسد به الفراغ يطلب دفتر الغياب ويستدعى التلاميذ الغائبين في الأيام السابقة ويتسلى بضربهم .. وهكذا كان أول من اخترع نظرية ســد الفراغ .. وكان يصيبنا الكثير من تطبيق هذه النظرية في المدرسة .. كان يلذ لى حضور المصارعات بين أقطاب المصـــارعة الفلاحيين ، التى كانت تتم كثيراً عقب الانصراف .. ولم يكن دورى في المصارعات بسيطاً كما قد يتوهم البعض . فقد كنت أحمل ثياب المصارعين أثناء المصارعة .. وكنت أدفع ضريبة هذه البطولة من عصا الوكيل التى لم تكن ترحم .. وكان أقطاب المصارعة



والهرب يستعدون للضرب بوضع روث البقر على أرجلهم حتى تخف شـدة الضرب عليهـم . وكنت أتلقى الضرب ببطولة ودون استعمال روث البقر .. وكثيراً ما قضيت ساعات باركاً أو محروماً من الغذاء أو الفسحة .. ولكن للبطولة ثمناً يجب أن يدفع ، والآن انقرض عهد العصا أو كاد وتسللت أساليب التربية الحديثة الى المدارس .. وعندما عملت مدرسـاً فيما بعـد استغنيت عن العصـا ولكنى وجدت فيما بعد أنها أجدى وسائل الاقناع التى لا يستغنى عنها في المدارس فعدت اليها .! ويجد طلاب اليوم وسائل النشاط الرياضى في المـدارس فينصرفون عن الشقاوة ويشغلون أوقات فراغهم بما ينفعهم وتصبح العصا في ذمة التاريخ .

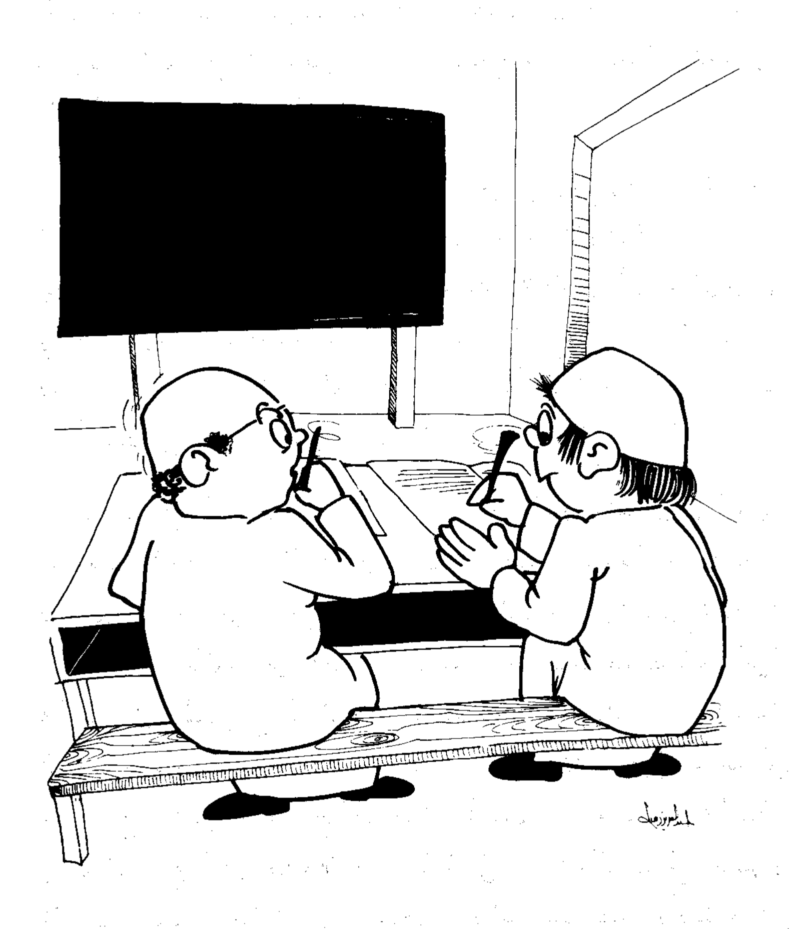
□■□

أضعت البرنجية

كان ترتيبي الثـــاني في التخرج في مدرســة الفــلاح بجدة ، ولذلك قصة فيها عبرة .. كان التقليد الســائد في مدرسة الفلاح ألا يتغير الأول أبداً خاصـة اذا كان أكبر ســناً من زمــلائه وهادئاً عاقــلا ؛ يكتب أسـماء المشاغبين وغير الحافظين .. وجاء الامتحان النهــائي في السنة الأخيرة .. وجلسنا لامتحان الحساب وكنت متفوقاً فيــه وكان أول فصلنا يجلس الى جانبي فأمليت عليــه جميع الأجـوبة الصحيحـة .. فاحتفظ بالبرنجيـة عن جدارة وأخذ ١٥٠ من ١٥٠ في المجموع النهائي بينمـا أخذت ١٤٨ فقط وأضـعت النمرتين في الخط وهـكذا فقدت البرنجية بفعل يدى . وبقيت هذه ذكرى أليمـة تحز في نفسى كلمـا ذكرتهـا .. هل كنت على حق وهل يندم الانسان على مثل هـذا الايثار ؟.. ومما يذكر أن زميلى قد أخطأ في أجـوبة علم الصـحة وكان الاختبـار شفهياً .. وكان من الممكن أن نتساوى أو أتفوق عليه .. ولكن دموعه وتقاليد الفلاح العتيدة وقفتا الى جانبـه ورجحته في آخر لحظة .. حقاً لقد كان لمدرسة الفـلاح تقاليدها وبعض متاعبهـا . ولكن لا شك أنهـا كانت اللبنة الأولى في بناء تلاميذها من حيث اللغـة العربيـة والعلوم الدينيـة .. لقـد حفظنا ألفية ابن مالك متناً

وشرحاً وحفظاً و (معنعن كعن سعيد عن كرم) ودرسنا أصول الفقه وكنا نردد كثيراً من العلوم كالببغاء .

ولكن رواسب كثيرة من هذه العلوم بقيت وكانت حجر الأساس في حياتنا فيما بعد .



ليلة في الدهليز

كنت طالباً بمدرسة تحضير البعثات وجاءت الاجازة الصيفية وذهبت لقضائها عند أهـلى في جدة .. وكانت مدرسة الفلاح لا تعطل .. وصادف سفر أستاذ العـلوم الرياضية بعد انتهاء خدمته .

فطلب المرحوم الشيخ محمد صالح جمجوم من والدى أن أتولى تدريس هذه العلوم في فترة الاجازة .. فقمت بهذه المهمة وأنا حديث السن يكاد تلامذتىأن يقاربونى في السـن .. وأحسست أنى قـد تطـورت وأنه لا بد لعلاقتى بالوالد أن تتطور أيضاً .. فأخذت أتمتع بالفسح ولا أتحرج عن التأخر بعد المغرب .

ودعانى أصدقائي الى نزهة بحرية (بالباى) لصيد السمك فأذن لى والدى وقضيت ليـلة ممتعة .. فلمـا دعونى مرة أخرى فرحت واسـتأذنت من والدى فأذن لى أيضاً .. ولكننا في هذه المرة عـدنا بعد منتصف الليل وليس في الصباح كالمرة السابقـة .. عـدت الى البيت فوجدت باب البيت مقفلا ولكن كان هناك حبل متصـل بالمزلاج يتدلى للخارج ففتحت الباب ودخلت .. ولـكن باب الدرج كان مقفلا من الداخل .. وفكرت في طـرق الباب ولكنى خفت أن يصحو الوالد منزعجاً ويتنبه الى



عودتى المتأخرة ويندم على اذنه لى ، ويتطـور الأمر الى فصل جديد من فصول الضرب الشيقة .. فآثرت الجلوس في الدهليز على الأرض ولم يكن هنـاك نور ولا كهرباء .. وكانت الفئران تداعبنى وتتراقص من حولى مرحبة فرحة .. وغلبنى النوم فتوسـدت بسـاط الرحمن .. ولكن أبى النوم أن يأتى في ذلك الجو القائظ ومع قطعان الفئران المرحبة .. وقضيت الليلة ساهراً حتى أذن الفجر فقمت الى المسجد القريب وأديت صلاة الفجر .. وبعـد الصلاة أخـذت مصحفاً وأخذت أتلو ما تيسر من القرآن على روح تلك الليلة الشهيدة .. وعندما تأكدت من فتح الأبواب عدت متسللا الى المنزل .. ترى كم من أبنـاء هذا الجيل يخشون آباءهم الى هذا الحد ؟.

□■□

آخر علقة ..!

كان ذلك في شــهر ذي الحجــة ١٣٥٥ هـ وكنت في السادســة عشرة من عمرى ، وقد نلت شــهادة الفــلاح النهائية وتنفست الصعداء . وأخذت أفكر في حيــاتي العملية المقبلة وشعرت أننى قد بلغت مبلغ الرجال ولكن خاطراً واحداً كان ينغص أحــلامي اللذيذة .. فقبــل تخرجي بسنتين أوفدت الحكومة الى مصر بعثة للالتحاق بدار العــلوم والجامعــة الأزهرية وهى التي من ضــمن أعضائها الأساتذة : السويل وعبد الجبار والفطاني .. وتمنى الوالد وقتها لو كنت ضمن المبعوثين ولكنه كان يريد أن أنتهى من دراسة الفلاح . وهكذا مرت الأزمة . ولكن الغيب كان يدخر لى أزمة أخرى .. فبعد تخرجى في مدرسة الفلاح ظهر في الأفق شبح وافد جــديد وهو تفكير المعارف في افتتاح مدرسة تحضير البعثات بمكة .. وكان الوالد في مكة عقب الحــج وقدّم اسمى للمعارف دون أخذ رأيي في هذه المخاطرة الشــاقة واســتدعانى قريبى المشرف على التعليم بجدة (١) وحمل الىّ هذا النبــأ الفظيع وخطاباً من الوالد عن الاســتعداد الواجب علىّ لمواجهة الحــالة الجــديدة . عدت الى البيت وأنا مكتئب وكان ضمن خطاب الوالد شراء قماش لى واعداد ثيــاب جديدة للمدرسة واشــترينا القماش وأخــذت الوالدة



تخيط الثياب . وكان لى أخ صغير هو الآن طالب بالجامعة [(٢)] .. الأخ يلعب في الغرفة فداس على القماش والثياب الجديدة فضربته .. واذا بالوالدة الوديعة التى لم تضربنا الا مرات معدودات والتى كانت تضمد جراحنا بعد (علقات) الوالد ، اذا بها تنهال علىّ ضرباً باليد وبالمروحة .. أكلت العلقة وأنا ذاهل وهكذا استدبرت عهداً واستقبلت عهداً آخر بعلقة كانت ختام العلقات .

□ ■ □

---

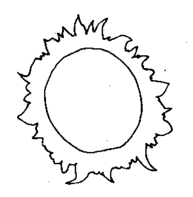
(١) هو الشيخ عمر محمد نصيف رحمه الله

(٢) هو أخى فؤاد نصيف

الحج على الحمير

رحم الله زمناً مضى لم تكن السيارة قد وطدت مكانها بعـد ولم يكن الراديو والمسجل والكهرباء وغـيرها من المخترعات الحديثة أشياء معروفة لنا .. ان شباب الجيل الحاضر أسعد حالا منا وأحسن مستقبلا .. انهم يفتحون عيونهم على الراديو وغيره من وسائل الثقافة الحديثـة التى تساعد على تنمية مداركهم مع المدرسـة . أما نحن فقد عشنا أيامنـا الأولى في زمن الحمـير .. حججت وأنا صغير مرتين على الجمال وقطعت الطريق من جدة الى مكة في يومين وعرفت (الوسك) و (العصم) وغير ذلك من المصطلحات التى انقلبت مؤخراً الى موديلات حديثـة من السيارات الأمريكية .

وعندما أدركت سن البلوغ اشتقت شوقاً كبيراً الى أن أحج حجة الفرض .. فكيف أنقل هذا الخبر الى والدى وأنا الذى لم أكن أجلس في مجلسه أو أرفع نظرى اليه .. وكان يحج في كل عام وأنا معه ولكنه لم يكن راغباً في الحج في ذلك العام بسبب الأحوال المادية .. ووسطت الوالدة في نقل هذه الرغبة اليه فبعثنى مع عمي للحج وحملتنا السيارة من جدة الى مكة وفي مكة كان ينتظرنى حمار لنا يجر برميل المـاء طول العام .. وتصـور مثل



هذا الحمار القوى يحمل حدثا صغيراً .. لم أستطيع أن أكبح جماحه وغضب عمي ـ رحمه الله ـ لأنى أسبقه وهو المعقود له الرئاسة وكانت مشكلة لم أهتد الى حل لها ولم يهتد الحمار الملعون .. أما الآن فان أولادنا يتدربون على قيادة السيارات وليس لواحد منهم أن يفخر بأنه عاش يوماً في زمن الحمير .. لقد كان الحج في تلك الأيام متعة وفسحة وكانت له ذكريات شيقة .. وكانت الحمير تنقلنا من مكان الى مكان دون توقف وانتظار (السرا) ساعات طويلة متمتعة بحرية المرور البرىء .. اننى أعمل الآن عملا يتطلب سرعة الانتقال في الحج ولكننى أقف ساعات في انتظار (السرا) في سيارتى .. وأنا متحرق شوقاً لزمن الحمير واننى أفكر فعلا في اتخاذ هذه الوسيلة السريعة المريحة وأتردد في ذلك كل عام .. فمتى أستطيع تحقيق هذه الرغبة ؟ لعلنى لو وجدت الحمار لتشجعت على تنفيذ الفكرة . فهل أجده ؟.

□■□

ليفـة بادكوك

عشـــنا ســـنوات لذيذة في القسم الداخلى بمكة كانت أحوالنا المادية جميعاً متواضعة ؛ العشرة الريالات تكفى الواحد منا أكثر من شهر أو شهرين ، ولم يكن طريق جدة معبداً فكنا لا نزور أهلينا الا كل بضعة شـــهور في الأجازات في سيارة البريد فقد كانت وسيلة المواصلات الوحيدة تقريباً . وكان الصديق الأستاذ محمد بادكوك من أظرف الشخصيات التى زاملناها في تلك الفترة .

أتت والدته ـ رحمها الله ـ الى مكة في مبدأ دخولنـا المدرسة وكلمت الشـيخ عريف المشرف عليـه طالبـة التوسط لدى السيد طاهر الدباغ مدير المعارف وقتئـذ ليسمح لها بالذهاب الى القسم الداخلى بمدرسة تحضير البعثات حتى تتـأكد من راحة ابنهـا وتعلق له الليفـة وتدق له مسامير الناموسـية وتعلق له المنشـفة وترتب شنطة ملابسه . ولم يفلح الشيخ عريف في اقناعهـا الا بعد جهـد كبير وكانت ـ رحمهـا الله ـ من السـيدات المتحدثات نذهب خصيصاً لزيارتها في جدة مع الأخ محمد فتأخذ في القاء محاضراتها وأحاديثها من وراء ستار . ونأخذ نحن في التحريش بينها وبين ابنها ونروى لهـا عنه بعض أشياء ولا نخرج الا وقد وقع بينهما ما صنع الحداد وما لم يصنع .



ومن طرائف الأستاذ بادكوك في مكة أن كان شخص مخبول يتردد على دار البعثات في المسفلة وأخذ في مداعبته والتباسط معه وفي أحد الأيام كان البادكوك يقف على باب الدار وقد ارتدى أفخر ملابسه ونظاراته فمر الشخص المخبول وألقى حفنة من التراب على وجه البادكوك ثم تبين المخبول شخصية البادكوك فاعتذر له قائلا : لا مؤاخذة حسبتك شبنكش (يقصد الشيخ حسين شبكشى للشبه الذى بينهما) فلم يكن من البادكوك الا أن قال له : (وافرض انى شبنكش ترمينى بالتراب) ثم استغرق في ضحكة عالية من ضحكاته المعتادة واستمر في هذه المناقشة الطريفة دون أن يتأثر من هذا الحادث .

□■□

النجـاة .. النجـاة

المتداول بين الناس أن التلاميذ يجننون أساتذتهم . والناس يقولون ذلك على سـبيل المداعبة أو المبالغة .. ولكننا ـ كتلاميذ ـ وفقنا في يوم من الأيام لنجنن أحد أساتذتنا جنوناً حقيقياً انقطع بعده عن التدريس .

كنا في مدرسـة تحضير البعثات والغرفـة التى خلف فصلنا بها المعمل الكيماوي وفيه مواد ملتهبة سـبق أن التهبت مرة وكادت تحدث حريقاً . وكان المدرس يلقى علينا درساً في النحو العـربي عن الاختصـاص . وهو مدرس ممتاز متمكن من علمه تماماً ولكن كان يقـابله تلاميذ متمكنون من شيطنتهم أيضاً .

كانت هنـاك فرقة لا تكف عن الضحك بسبب وبدون سبب . وضرب الأستاذ مثلا للاختصاص (نحن معـاشر العرب الخ) فسألناه عن مفرد معاشر . ثم أخبرناه أننا في الزواج نستعمل المعـاشر وأن مفردها معشرة .. ثم تطرق البحث الى سبب تسميتها معشرة فقال الأسـتاذ : ربما لأنها تكفى لعشرة أشخاص يجلسون حولها .

وهكذا تطور البحث .. الأسـتاذ جاد ونحن هازلون وفرقة الضحك ـ وكنت من أعضائها البارزين ـ تؤدى واجبها على الوجه الأكمل .. وقطع الأسـتاذ المناقشـة صارخاً (النجاة النجاة . اخرجوا سريعاً) .



وكان هو أول الخارجين فتبعناه نجرى ظانين أنه رأى شيئاً في المعمل قد التهب . ولكننا لم نجد شيئاً ، ونزل الأستاذ الى غرفة الادارة وحمل شنطة الكتب وخرج ولم يعد بعدها . وأوقعنا مديرنا السيد اسحاق عزوز في ورطة فقد عرف عن الحادث واحتار في الشخص الذى سيخلف الأستاذ ويكون عنده الاستعداد لتلقى نفس المصير . وبعد هذا الحادث بمدة يسيرة كنا في الحميدية نودع سمو الأمير فيصل المعظم ـ شفاه الله ـ وألقى أحد المدرسين قصيدة لم تكن مناسبة للمقام .

وكان أستاذنا حسين الحوت حاضراً وهو شخصية طريفة وكانت لنا معه مداعبات ومناوشات . فقال الأستاذ الحوت بعد عودتنا الى المدرسة (ما هذا البلد ان فيه كثيراً من المجانين) وأشار الى الشاعر والى الأستاذ الذى سبقه فقلت له على الفور : (ولكنهما ليسا من أهل هذا البلد) فكانت نكتة لاذعة تقبلها ضاحكاً وضحك لها الزملاء .

فقد كان الاثنان اللذان عناهما من بنى وطنه

□■□

نزهة فمحاكمة فتوبة

كان الأستاذ عبد الرؤوف الأفغـاني مدرس اللغـة الانجليزية من ألطف الشخصيات : وفوق المامه الواسع باللغة الانجليزية كان عالماً جليلا ذا اطلاع واسع ؛ وفي فترة من الفترات غاب مدرس الرسم فقام بتدريس هذا العلم لنا خير قيـام مع أنه فن قائم بذاته له أصـوله وقواعـده . كان بعض زملائنـا قليـلى الحفظ ضعيفى الذاكرة فوصف لهم وصفة هندية لطيفة تتلخص في أن يحلقوا رؤوسـهم ويضعوا عليهـا (زيت لبوب سبعة) ما أحوج الانسان الآن لاستعمال هـذه الوصـفة لولا ما يلزم لها من الحلاقة (الزلبطة) .

وذات يوم اقترح علينا الأستاذ أن نقضى يوم جمعـة في بستان الزاهر بمكة وأخذنا نعد للأمر عدته وأوصانا أن نشترى تفاحة بأكملها لـكل عضو في الرحـلة وكان حصـول الواحد على تفـاحة كاملة يعتبر غنيمة في ذلك الوقت .. وبين لنا أهمية ذلك فالمثل الانجليزي يقـول (تفاحة في اليوم تغنيك عن الطبيب) .

"An Apple a day Keeps a doctor away"

وفي يوم الجمعة المحدد ذهبنا الى البستان فرحين مرحين والأستاذ يشرح لنا كثيراً من خصـائص النبـاتات ..

ووجدنا رجلا يستحم في بركة البســتان فضايقناه حتى خرج لأننا كنا نريد البركة خالصة لنا .

ولم نكن نعرف أن خروجه سيوقعنا في أزمة . طلبتنا رئاسة القضاء مع أستاذنا في اليوم التالى لأننا لم نصل الجمعة . ولم نهتم للأمر كثيراً في البداية ولكن أســتاذنا كان يخرج في اليوم الواحد عــدة مرات حاملا شمسيته لمقابلة المسئولين ويعود ليفضى الينا بنتيجة جهوده .

فمرة مثلا قال للمسئولين ان السبب في عدم نزولنــا للصــلاة أن (ســيارة حامد هرساني خربانين) وهي السيارة التى استعملناها في الرحلة وأخذ يلقننا هــذه الحجة لتتفق كلمتنا .. وأخيراً أحيلت القضية الى الشرع ووكلنا الصديق الهرساني وكالة شرعية لحضور القضية .. ولا أذكر الآن سر اختيــارنا له .. ربما لأننــا كنــا صغاراً وكان هو أكبرنا سناً .. وأخــيراً حكم القــاضى بتتويبنا وأخذونا يوماً مع أستاذنا الى مركز هيئة الأمر بالمعروف المجــاور للحرم بمكة وتبنا واحداً واحداً .. وخرجنا ونحن لا نصدق أننا خلصنا من الورطة بهــذه السهولة .

ولكن الفضل يرجع الى براعة المحامي والى ســيارته (الخربانين) والا لأصبحنا الآن من أرباب السوابق .

□■□

المدير العصري المحافظ

الأستاذ السيد اسحاق عزوز رجل فاضل ربى أجيالا من أبناء هذه البلاد ، وهو رجل جمع بين المحافظة على التقاليد العربية والاسلامية وبين الروح العصرية المتحررة .. كنا في القسم الداخلى بمدرسة تحضير البعثات وكان يأتى ليوقظنا لصلاة الفجر .. وعندما ألفنا فرقة الكشافة بالمدرسة كان يرتدى معنا ملابس الكشافة ويمر مع الفرقة في الأسواق دون أن يتحرج أو يأبه لكلام الناس .. وكنا نجلس في الفصل على مقاعد قطنية وننتهز أوقات الفسح لنتضارب بهذه المقاعد .. وكنت يوماً أتضارب مع الصديق السيد أحمد شطا فرميته بالمقعدة فانحرف عنها وكان السيد اسحاق داخلا الفصل للتفتيش ، فاذا بالمقعدة تصيبه في وجهه .. وأكلها السيد اسحاق ولم يتكلم وخشيت أن تحدث عواقب لهذا العمل ولكن الحادث مر بسلام وتقبله السيد اسحاق بروح رياضية ممتازة .

والسيد اسحاق خطيب رائع ، كثيراً ما يلقى الخطب في المناسبات فيأخذ بمجامع القلوب بأسلوب بسيط مؤثر .. وكان يفاجئنا كثيراً أثناء الدروس . نلتفت فاذا هو جالس في الصفوف الأخيرة يحضر الدرس ويراقب أعمال المدرسين .. وعندما ترك مديرية مدرسة تحضير البعثات

فيما بعد أقمنا له حفلا كبيراً بالمدرســة لتكريمه حضره رجال العلم والأدب في مــكة .. ان كل تلاميــذ السـيد اسحاق يعتزون به وقد أصبحوا أصدقاء له .. يفخرون بصداقته .. ولكنه كصديق يختلف عنه كأســتاذ فان له مع أصدقائه مقالبوتحريشات .. ولذلك فانهم يأخذون حذرهم دائماً من مقالبه وتحريشاته .

□■□

صلاة الميت الغائب

على أثر نشر مذكراتى عن ليفة (بادكوك) اتصل بى تليفونياً وذكرنى بموضوع (صلاة الميت الغائب) ووعدني بأن يبعث الىّ مجموعة من المذكرات لأنشرها وها أنا ذا في الانتظار ..

ولكن البادكوك وحده عبارة عن مذكرات ولو أردت الاسترسال في مذكراتنا معه لاضطررت لفتح باب جديد في جريدة « البلاد السعودية » بعنوان (مذكرات مع البادكوك) أو (البادكوكيات) .. ولذلك سأحاول الاختصار ..

كنا في القسم الداخلى بمدرسة البعثات ؛ وبعد أن أفطرنا أخذنا نستعد للنزول الى الفصول الدراسية وأخذ بادكوك يلمع نظارته ويمضغ فوفلته .. ودخل علينا ساعى البرقيات يحمل برقية لبادكوك وفضها .. فاذا فيها خبر وفاة والدته والبرقية موقعة من محمد علي أبو داود بجدة .. فذهلنا جميعاً لهذا النبأ ولكننا واسيناه بأن البرقية لم ترد من أحد أقاربه حتى يتأكد.. ولكن محمد علي أبو داود زميل أخيه في العمل وفي حكم القريب ولذلك لم تنفع هذه المواساة ولم يكن الاتصال التليفوني بجدة ميسوراً كما هو الآن .. أخذ البادكوك

يبكي ونحن معه وأساتذته وزملاؤه يعزونه .. وأخذ الأستاذ عبد الرؤوف الأفغاني يلقى عليه المواعظ الدينية والآيات مثل (انك ميت وانهم ميتون) و (كل نفس ذائقة الموت) وغيرها .. واستأجر الشيخ العريف له سيارة الى جدة بعشرة ريالات بالوفاء والتمام وكان هذا مبلغاً باهظاً في ذلك الوقت.. سافر البادكوك الى جدة قبيل الظهر ولم يكن الطريق معبداً .. وقبل أن يذهب الى البيت مر على (أمنا حواء) وسأل هناك : (هل دفن أحد) فلما أجيب بالنفي ظن أنهم في انتظاره وأسرع الى البيت .. دخل أولا غرفة أخيه عبد الرحمن وهو أصم أبكم فسأله عن الجنازة وموعدها فأخبره أنه لم يعلم عن ذلك وأخذ في البكاء والعويل وصعد الأخوان وهما يبكيان وعبد الرحمن أكثر بكاء وعويلا .. ووجدا والدتهما تتوضأ فانكب عليها محمد مسلماً باكياً بينما جلس عبد الرحمن على الأرض منتحباً .. وعرفت الوالدة الخبر فأقبلت على عبد الرحمن تعنفه قائلة : (طيب محمد له حق وجاءته برقية وأنت ما هذا الجنان) وبعد أن سكن الروع أخذوا في التحقيق وسئلت ادارة البرق .. فاذا مرسل البرقية هو محمد حسين أصفهاني بمناسبة أول ابريل وانتحل اسم محمد علي أبو داود .

وفي ليلة سفر البادكوك الى جدة صليت العشاء ثم صليت صلاة الميت الغائب على روح المرحومة واشتكى

البادكوك وحكم على الأصفهاني باعادة المبلغ الجسيم الى بادكوك مع انذاره بعدم العودة الى مثل ذلك .. وتخاصم الاثنـــان طويلا وكان بادكوك اذا صـــادفه في الأســـواق يعرض عنه حتى تصالحا فيما بعد .. وفي تلك المناســبة نظم الأستاذ محمود عارف قصيدة فكاهية جميلة طويلة يقول فيها :

وآخـــر من كـــراتشي	رآك تجـــرى المواطـــر
مشى اليـــــك وواسى	تم جانما كيس خاطـــر

ويقصد بذلك الأستاذ الأفغاني :

ويقول واصفاً الرحلة الى جدة :

وغـــرزت عجـــلات	دفعت والعـــزم خائـــر

ويقول :

لقـــد جنى الأصفهاني	وكـم أتى من ضرائـــر
برقيـــة صـــاغ فيهـا	أكـــذوبة وهو شاطـــر

ويقول لبادكوك ناصحاً بعد أن أصـــابه رعب وحالة نفسية سيئة :

بادكـــوك أمك هـــذى	تجيـــد طلق المجامـــر
فخـــذ بقرش لبـــانا	من عنـــد عبد القادر(١)
وقـــل لها بخـــريني	مـن كل جنى وساحـــر

---

(١) باديب .

المدير الذى غضبنا من أجله

كان فضيلة الأستاذ السيد أحمد العربي من أحب أساتذتنا الينا .. كان مدرساً قديراً ومديراً محبوباً أيضاً .

وهو متمكن من اللغة العربية وقواعدها وآدابها معرفة وتدريساً وحريص على التحدث باللغة العربية حتى عندما يشتم تلاميذه فكثيراً ما كنا نسمع منه (أنت لُكع) و (أنت ضُحَكة) وهو مرب فاضل قدوة في الأخلاق والاعتداد بالنفس والسيرة الحميدة .

كنا في السنة الأولى بمدرسة تحضير البعثات عندما قررت مديرية المعارف العامة نقله من مديرية مدرستنا الى مديرية المعهد العلمي السعودي .. فغضبنا لذلك وقررنا أن نمتنع عن تلقى الدروس حتى تعدل المعارف عن رأيها ..

وأزعج هذا الخبر المعارف ورجالها .. فهذه أول مدرسة ثانوية يرونها ويحرصون عليها ومن الصعب أن تقبر في مهدها بمثل هذه الأعمال الصبيانية .. جمع المدير الطلاب في احدى غرف القسم الداخلى بالمدرسة وأقبل علينا السيد محمد شطا مفتش المعارف الأول في ذلك الوقت وكان ذا شخصية قوية ومرهوب الجانب ..

وصادف عند دخوله علينا أن السيد عمر عقيل كان يلقى علينا واحدة من خطب الزعامة ..

وبعد أن حقق معنا انصرف ونحن نضرب أخماساً في أسداس بعد أن تبخرت خطب الزعامة وراحت السكرة وجاءت الفكرة .. وفي اليوم التالى جمعونا مرة أخرى وألقى فضيلة السيد طاهر الدباغ مدير المعارف العام خطاباً فينا جمع بين النصيحة والوعيد ، ثم أعلن علينا ما قررته وزارة المعارف من فصل بعض المحرضين وخصم نمر الأخلاق على الباقين ، وعادت المياه الى مجاريها .. وبعد بضعة شهور صدر عفو عن المفصولين .. وقد عاد السيد أحمد العربي مرة أخرى الى مديرية البعثات بعد مدة وصادف أن كنا في السنة الرابعة وتأخرنا عن صلاة الظهر جماعة وكان هو يؤم طلاب المدرسة وجئنا الى مكان الصلاة وقدمنا السيد حسن شطا (امام الطواريء) وصلينا خلفه .. وبعد انتهاء الصلاة دعانا المدير وعد عملنا هذا مخالفة وتحدياً فقرر معاقبتنا جميعاً بالطرد من المدرسة مدداً مختلفة وأقفلت السنة الرابعة .. والمصيبة أنه أرسل قرار الفصل لأولياء أمورنا وبدأت شخصياً أتتبع حركات الوالد من جدة الى مكة كما نتتبع الآن تحركات الأسطول السادس .. وتوسط المرحوم السيد صالح شطا ، والشيخ أحمد الغزاوي ــ أمد الله في حياته ــ وقال الشيخ الغزاوي للسيد أحمد العربي :

(ان لهؤلاء التلاميذ بالذات معك موقفاً عنــدما غضبوا لك فلعــل هــذا يكون شفيعاً لهم) .. وفعــلا عدنا الى قواعدنا سالمين .

□ ■ □

أمير القهوجية .. والبريد المكبوس

انها ذكريات متفرقة عن أيامنا في مدرسة تحضير البعثات بمكة .. كانت أمسيات جميلة نترقبها ونقضيها في المسفلة حيث عرفنا قهاويها وأصحابها معرفة شخصية .. وعلى مراكيز قهوة البخاري تعرفنا بالأستاذ الكبير حمزة شحاتة وبدأنا نسمع أشعاره ونوادره الأدبية .. وكانت له شلة أدبية تجتمع كل يوم الى جوار مركازنا .

وهكذا كان بدء اختراع الندوة الأدبية (مع الاعتذار للأستاذ فؤاد شاكر) .. وكان يلم بنا الافلاس في بعض الأوقات فنحول اتجاهنا الى أعلى مكة حيث نذهب الى قهوة البلدية ، وكانت تقع مكان قلم المرور الآن ، وصاحبها اسمه (أمير القهوجية) .. وهو يحب أن ينادى بهذا اللقب .. وعند دخولنا نحييه بهذا اللقب ونقدم له فروض الطاعة فلا يلبث أن يأمر بأن تكون طلباتنا على حسابه .. وكان البادكوك يأتى دائماً بعدنا ..

وذات يوم طالت غيبته ونحن في قهوة البلدية .. وأخيراً وصل وهو يلهث ، وأخبرنا أن السيد عمر عقيل اعترض طريقه في الجودرية وآذاه .. فسحبه الى مركز المعلاة واشتكاه وتركه محجوزاً هناك .. وبعد قليل أقبل علينا السيد عمر عقيل وهو يترنم . فقد كان

ضابط مركز المعلاة صديقه وعملوا (نمرة) على البادكوك وتظاهر الضابط بحجز عمر عقيل ولكنه تركه بعد خروج البادكوك .. هذا وقد تاب بعدها عمر عقيل ولم يطرق للبادكوك .. باباً قط !.

وفي تلك الأيام تم اختراع (البريد المكبوس) .. وهو اختراع نقدمه لاخواننا الذين يحضرون مؤتمرات البريد الدولية ليفاخروا به .. الخطاب العادي بقرش وربع ، ولكنه اذا كان منفوخاً يشك مأمور البريد ويزنه ويطلب أجراً زائداً فكيف يمكن ازالة الشك من مأمور البريد ونجعله يأخذ الكتاب على أنه وزن عادى .! قام البادكوك بهذا الاختراع العجيب .. يكتب الكتب وجميعها منفوخة وثقيلة ثم يبدأ بعد الظهر في عملية الكبس .. يضع الكتب تحت مقعدة قطنية ويجلس هو على المقعدة ثم يبدأ المنظر النادر ، فترى البادكوك يتحرك يميناً وشمالا ، والى الأمام والى الخلف ، وبعد نصف ساعة تخرج الكتب في منتهى الخفة والرشاقة .

وهكذا أمكننا أن نوجد الى جانب البريد الجوي والبريد البري والبريد البحري اختراعاً جديداً في عالم البريد أطلقنا عليه اسم « البريد المكبوس » .

□■□

الشباب الناهض

كنا قـد بلغنا مبلغ الرجال ـ أو هكذا خيل الينا ـ ونحن في السنة الأخيرة بمدرسة تحضير البعثات .. ومع ذلك فقد كنا لا نكاد ننصرف من المدرسة حتى نبدأ فصلا جديداً من فصول الشقاوة .. كان السيد أحمد شطا يودعنا يومياً بوابل من الحجارة ، فالمدرسة في القلعة وهو ساكن بجوارها ونحن نضطر للنزول فيتحصن هو بالجبل وتبدأ عملية قذف الحجارة ونحن نجرى بمشالحنا وعقلنا ونصطدم بالمارة في الطرقات .. وابتدعنا أيامها بدعة هد الشطاطيف متجاهلين الحكمة القائلة : (قطع الرؤوس ولا هد العمائم) .. فنضطر للجرى والتسابق ، اما للحذر من هد الشطاطيف ، أو للانتقام ورؤسنا مكشوفة ومشالحنا وشطاطيفنا في أيدينا .. وحدث مرة أن كانت عائلة خطيبتى ـ وكنت قد خطبت ـ في زيارة لبيت في القلعة وتفرجت مع عائلتها على الخطيب المحترم وهو يجرى مع العمالقة حاسر الرأس وملابسه في يده وهو الذى يتظاهر بالأدب والتعقل .. وكانت ورطة .

وكنا في السنة النهائية نأخذ درساً ليلياً اضافيا في علم الاحياء في المدرسة الرحمانية بالمسعى .. لأن الأستاذ أحمد سليمان رشوان كان عنده جدول كامل



أثناء النهار فكان يعطينا هذا الدرس ليلا .. وذات ليلة بكرنا في الذهاب الى المدرسة وكانت العراق قد دخلت يومها في حرب مع الانجليز أيام رشيد عالى الكيلاني ، وسرت موجة حماسة للشعب الشقيق بين الناس .. وبحثنا هذا الموضوع في تلك الليلة .. وتأخر الأستاذ قليلا .. ففكرنا في تحويل الحماسة الى حركة ايجابية فأطفأنا الأتاريك وأخذنا نجرى الى خارج المدرسة ، فقابلنا الأستاذ رشوان صاعداً درج المدرسة فانزعج من هذا الطابور المبرطع ، فأخبرناه أننا أعلنا الحرب خلاص ، فزاد انزعاجه وارتج عليه ولم يتكلم،وواصلنا جرينا وهو يصب علينا وابلا من الشتائم بعد أن عاد الى وعيه .. ومشيت مع حسن شطا وعلوى جفرى . فقابلنا الهرساني عند باب النبي مع زميل آخر فسألنا عن سبب خروجنا فأخبرناه أننا نتمشى لاضاعة الوقت، وأننا عائدون الى المدرسة ، وفعلا سبقناه في اتجاهها .. وبدلا من أن ندخل الى المدرسة أخذنا نجرى من زقاق البيض الىالقشاشية والناس يتعجبون من هؤلاء الشحوط الراكضين ، وعدنا الى المسعى لنقابل الهرساني من جديد ، وكان قد ذهب الى المدرسة ووجد الأنوار مطفأة – والأرض قفرة والمزار بعيد – .. فواجهنا غاضباً وقال : (خلاص أنا فقدت الثقة فيكم) وظللنا مدة كبيرة نتندر بهذه الثقة المفقودة حتى أذن الله لها أن تعود وأن نحظى بها مرة أخرى .

أحببت التدريس .. ولكن الله سلم

كنت وأنا طالب أتمنى أن أصبح مدرساً . ولعل هذا شعور يساور الكثيرين من الطلبة . ويعلل الناس ذلك بالنظرة التي ينظر بها التلاميذ الى المدرس .. انه مثلهم الأعلى فهم يقلدون حركاته وحديثه . ولكنى أعلل هذا الشعور بالرغبة في الانتقام فالمدرس رجل قاس لا يرحم في الواجبات وقد يضرب تلاميذه ، ولذلك يرغب هؤلاء التلاميذ في الانتقام من تلاميذ آخرين قد يكون من بينهم أبناء مدرسيهم .

وقد أتيحت لى فرصة التدريس ثلاث مرات .. كانت المرة الأولى لفترة قصيرة في مدرسة الفلاح بجدة في احدى أجازاتى الصيفية .. ودرّست في تلك الفترة العلوم الرياضية ، وكنت من المتفوقين فيها ، كما درّست قواعد اللغة العربية ولى المام كبير بها ..

وأذكر أنه كان من ضمن المواد التىأسند الىالتدريس فيها مادة مسك الدفاتر التجارية .. ولكنى اعتذرت عنها ، لأنى كنت قد نسيتها وليس لدى مرجع أو دفتر قديم أقتبس منه .

وكانت المرة الثانية بعد انتهائنا من الدراسة في مدرسة تحضير البعثات فقد تأخرنا سنة عن الابتعاث بسبب الحرب العالمية الثانية وكلفونى

أنا وبعض الزملاء بالتدريس في مدرسة تحضير البعثات لعدم امكان استقدام مدرسين من مصر وكنت أدرّس الرياضيات واللغة الانجليزية وكان راتب كل واحد منا أربعين ريالا بالتمام وتأخر الراتب وكنت أقيم عند أقاربى بمكة . وشعرت بالغضاضة في الاستمرار في الاقامة عندهم مجاناً بعد أن أصبحت موظفاً ، فقدمت لمدير المدرسة السيد أحمد العربي خطاباً أعتذر فيه عن تدريس السنة السادسة الابتدائية ، ووضعت الخطاب أمامه على المكتب، ولم أناوله له مناولة، وكان ذلك عن غير قصد منى . فغضب وألقى عليّ درساً في الأدب وألقى بكتابى على الأرض ظناً منه أنى تعمدت وضع الخطاب على المكتب .. وهربت بعدها الى جدة وتعللت بالمرض ، ثم عملت مدرساً بمدرسة الفلاح بجدة لبضعة أشهر درّست خلالها العلوم الرياضية .

كانت أياماً سعيدة . وكان لى تلاميذ أعتز بصداقتهم ومنهم من يحتل الآن مراكز مرموقة في معظم الوزارات. وقد يذكرنى بعضهم بذكريات التلمذة ولكننى أتجاهل ذلك لئلا يظن الناس أنى قد بلغت من العمر عتياً .. لقد حققت أمنيتى لفترة قصيرة وعندما كنت أكتب في الجرائد فيما بعد أو أذيع في الاذاعة كنت أتقمص شخصية المدرس وكان يلذ لى ذلك .

ترى لو استمر عهدى بالتــدريس أين كنت سأصبح الآن .؟ وهل كنت سأحتفظ بشبابي وقواي العقلية ..؟

ان مهنة التدريس لذيذة والمدرس يشــعر بســعادة غامرة وهو يقدم انتــاج عقله لبنــاء جــديد ؛ ويحس بالسرور وهو يلتقى بتلاميذه على مر الأيام .

□■□

قد يكون .. وقد لا يكون

انها ذكريات متفرقة أختتم بها ذكرياتي في مدرسة تحضير البعثات .. على أن أبدأ في نشر ذكرياتي عن حياتنا في مصر .. وستكون ذكريات حافلة مليئة بالطريف والعجيب..

كانت دار البعثات في مكة في وقت من الأوقات في قلعة جبل هندى وكان يشترك معنا في الدار المعهد العلمي السعودي والسنة السادسة الابتدائية .. وكان الأستاذ السيد أحمد العربي مديراً لهذه المدارس جميعاً .. قدمت في ذلك الوقت مشروع (اتحاد المعهدين) وكانت دائماً بيننا وبين المعهد منافسة في الرياضة البدنية وفي النشاط الاجتماعي بصفة عامة ، فكان مشروع اتحاد المعهدين يجمعنا جميعاً في نشاط اجتماعي أدبي رياضى واحد .. وقد تحققت الفكرة وأصبح نشاطنا موحداً .

وبمناسبة القلعة أذكر أننى تركت القسم الداخلى بعد انتقالنا الى القلعة ــ وكان مراقب القسم الداخلى الرجل الطيب الشيخ أسعد مامو ــ ودخل علينا يوماً وأسعد جمجوم ينشد :

ياعمُ أسعد مامو المدح فيك حرام

وحالا غير أسعد جمجوم النشيد عند قدوم الشيخ أسعد فأصبح :

ياعمُ أسعد مامو الذم فيك حرام

وتخلصنا من هذه الورطة ..

وقد كنت أول الناجحين في البكالوريا وفي التوجيهية وعند نجاحنا في البكالوريا أقيم حفل كبير في المدرسة شرفه سمو الأمير فيصل وألقى زميلى السيد حسن شطا قصيدة نيابة عنى نالت الاستحسان وقتها .. وخرجت من الحفلة محملا بالهدايا والكتب يحملها اثنان من التكارنة ..

وفي تلك الحفلة ألقى الأستاذ الغزاوي قصيدة جميلة يقول في مطلعها عن الطالب :

فجره ثم ضحاه ناشيء يهوى الحياة

حالف السهد طويلا فتشكى ناظراه الخ

وبعد الحفلة دعانا السيد علوى جفرى الى (قيلة) في أرضه بحداء وخرجنا مشوقين لرؤية هذه الأرض .. فقد كانَ علوى كلما جاء ذكر نبات أو زهرة في علم النبات يقول لنا : هذه موجودة عندنا في البلاد .. ولكننا لم نجد في بلاده الا أرضاً قفراء فأنشدت قصيدة طويلة معارضاً قصيدة الغزاوي قلت فيها :

يومنـــا هـذا جميـــل وجميـــــــل منتهاه

في بـــلاد كـــال فيهـــا عـــلويٌ مـــن ثناه

رحت فيهــــا فــكأني وســـط صـــحراء فلاه

الى أن قلت :

انه قـــول صــــحيح قـــولهم فيمـــا أراه

مـــن رأى رأى طويـــل خيب الله رجـــاه

ولن أختم هذه الحلقة من الذكريات قبل أن أنوه بجهود الأستاذ عمر نصيف معتمد المعارف السابق بجدة في سبيل أبناء البعثات

كان يرحلنا ويستقبلنا ويقضى لنا حتى المصالح الخاصة . وننعم عنده دائماً بالضيافة العامرة .. وفي أول التحاقنا بمدرسة البعثات كنا نراجعه للسفر الى مكة والأمر لم يصل بعد للبريد لاركابنا فنسأله : (هل نسافر غداً) ويجيبنا بجوابه التقليدي : (قد يكون وقد لا يكون) .. وهكذا ذهبت مثلا نذكره كلما ذكرنا الأستاذ عمر نصيف .

□■□

بسم الله مجريها ومرساها

أعلن عن عزم الحكومة ابتعاثنا وقنابل الألمان تقترب من الاسكندرية قبل معركة العلمين ، وطائراتهم تتردد على القاهرة والاسكندرية .. فحزمنا أمتعتنا ، وكنت وقتها مدرساً بمدرسة الفلاح بجدة وفي حاجة للبقاء في الوظيفة ولذلك تركتها مكرهاً لئلا يعتقد الناس : أنى أحمق .. وأقامت مديرية المعارف العامة حفلا لتوديعنا في جدة شهده قائمقام جدة وكبار الموظفين والوجهاء .. وودعنا مديرنا السيد أحمد العربي بقصيدةجميلة يقول في مطلعها مخاطباً الباخرة التى ستقلنا :

خففى السير يا فتاة البحار ... وارفقى يا فتاةبالسفار

انما تحملين آمال شعب ... ...

وقد ألقيت يومها قصيدة قلت في مطلعها :

جلال اليوم بل يوم الجلال ... أثار معانى الشعر الغوالى

وقلت في ختامها :

وأنتم سادتى شرفتمونا ... بحفل ضم أسباب الجمال

سنذرف في وداعكما دموعاً ... تفيض جوى بأطراف القنال

ونذكر فضلكم في كل حين   وحين تحوطنا قمم التلال(١)

وهاكم عهدنا هذا بأنا   سنبذل كل مرتخص وغال

سنمضى سبيل العالم جمعاً   ونقضى في دراسته الليالى

... ...   ونخلص كلنا عند المآل

فأما أننا مضينا في سبيل العلم وقضينا الليالى في دراسة ، فهذا نترك الحكم فيه للقارىء بعد أن يطلع على ما في المذكرات ويعرف كيف قضينا الليالى ؛ وأما اخلاصنا عند المآل فذلك ما نرجو أن نوفق فيه ؛ وأما الدموع التى تفيض على أطراف القنال فليتها كانت حقيقة وأغرقت من وقتها شركة القنال المنحلة وكفتنا مشاكل القنال وما بعد القنال ، ولكن الحقيقة أن هذه الدموع كانت كذب الشعر ومبالغته فقد تحولت بقدرة قادر الى أفراح وزغاريد ترددت في جنبات الباخرة التى حملتنا ، والى اللقاء في الذكرى القادمة لنتتبع هذه الرحلة الطريفة ونتمتع معاً بهذه الزغاريد والأفراح .

---

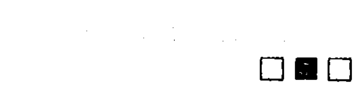
(١) تلال المقطم .

رحلة في الظلام

جمعنا السيد طاهر الدباغ قبل بدء الرحلة وكنا في جدة ننتظر الباخرة عدة أيام وبسبب ظروف الحرب لم نعرف تاريخ وصولها الا قبل الوصول بليلة وقال لنا السيد طاهر : ان السنة أنه اذا كان هناك جماعة في سفر فعليهم أن يؤمروا أحدهم ، وأنه اختار علوى جفرى ليكون أميرنا في الرحلة .

وقد تأثرت في نفسى فقد كنت أول البعثة ولكن صغر سنى حال بينى وبين هذه الأمارة ومع ذلك فقد كانت هذه الأمارة عبئاً مع الشلة الكريمة .. فقد لقى أمير الرحلة الكثير من العنت والتريقة وكنا نترقب يوم وصولنا الى السويس لتنتهى هذه الأمارة .. وكانت الباخرة تسير في ظلام دامس بسبب الحرب .. وكان يحدث ونحن نقضى الوقت في لعب ومرح أثناء النهار وأحياناً أثناء الليل أن تدوى صفارة الانذار ويتجارى البحارة ونجرى نحن لنلبس أحزمة النجاة ثم يظهر لنا أن المسألة مناورة لتدريب البحارة والركاب على التصرف السريع أثناء الخطر . وكان الهرساني أكثرنا خوفاً فكنا نوهمه بحدوث الغارات ونجرى في الطرقات فيندفع ويلبس حزام النجاة حتى قرر أخيراً أن يلبس هذا الحزام ليلا

ونهاراً وكان منظره عجيباً وهو بالحزام وشفتاه تتلوان جميع ما حفظه من الأدعية والأوراد .. وكانت الباخرة تحوى دورات مياه أفرنجية لم نرها من قبل وكان تصرفنا فيها مثيراً للضحك ونحن نستعملها لأول مرة . وعقدنا أواصر الصداقة مع ضباط الباخرة وقائدها فزرنا جميع أقسامها واستمعنا الى شرحهم لآلاتها وطريقة سيرها .. وكان على الباخرة الشيخ أحمد طلبه صقر الواعظ المصري قضينا معه أياماً جميلة وهو رجل حلو الحديث واسع الاطلاع .. وأخيراً ألقت الباخرة مراسيها في ميناء السويس لنجد في استقبالنا أستاذنا الفاضل السيد ولى الدين أسعد مراقب البعثة وقد استقبلنا استقبالا يليق بالمقام ويشبه الى حد كبير استقبال الحجاج بن يوسف لأهالى العراق وهذا هو موضوع الذكرى القادمة .. والى اللقاء .



الليلة الأولى في مصر

وصلنا في المساء الى السويس ، وأخذنا السيد ولى الدين أسعد الى فندق الحميدية المطل على محطة السكة الحديد ، وقضينا الليلة مع مضيف جديد تعرفنا عليه لأول مرة وهو « البق » ..

لم ننم طوال الليل وكنا نتسلى بالضحك والمرح ما عدا السيد حسن شطا الذى كانت تبدو عليه دلائل الفزع ولم يشأ أن يخبرنا عن سبب فزعه الا في الصباح عندما سألنا : (ألم نسمع صوت المجنون الذى يصيح طوال الليل) ولما أخبرناه بالنفي تعجب ، وأخيراً فهمنا من مجرى الحديث أنه يقصد صفير القطارات .. وكان كلما صفر قطار ظنه مجنوناً يصيح فزاد فزعه واضطرابه .

وفي الصباح أقلنا القطار الى القاهرة .. ودوت الزغاريد في محطة مصر مرحبة (بمشايخ العرب) الذين أتوا بالجملة ونحن في دهشة عن كل ما تقع عليه عيوننا من مناظر ..

وأخيراً وصلنا الى الدار المؤجرة لنا في حي عابدين.. وبعد العصر ذهبنا مع السيد ولى الدين الى محلات أفيرينو حيث اشترينا بدلا جاهزة ولم نخرج الا ونحن نرتدى



الملابس الجديدة ، وأصر السيد ولى الدين على أن نلبس الطرابيش استكمالا للحشمة والوقار ، وظللنا سنة كاملة نلبس الطرابيش ولا نستطيع الخروج من دار البعثة بغيرها ، والا تعرضنا للخصم من رواتبنا المتواضعة .. وأراد السيد ولى الدين أن يرينا العين الحمراء من البداية ، فألقى فينا خطاباً ضمنه كثيراً من النصائح ، وختمه بجملته التقليدية الحجاجية (والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل) وكنا فعلا نخافه ونحترمه حتى زال الخوف تدريجياً ، وبدأنا في عمل المقالب التى احتار في القضاء عليها ، ولهذه المقالب قصة أو قصص سوف نقدمها تباعاً في هذه المذكرات .

بعد المغرب فكرنا في التنزه والترويح عن النفس فذهبنا الى أحد أماكن النزهة جميعاً(١) وكنا خمسة عشر لا نفترق أبداً ، ولكن قصتنا ونحن ندخل مكان النزهة طريفة تستحق أن نفرد لها المذكرة التالية من هذه المذكرات .

(١) دار سينما فى السيدة زينب

مثلث دور العبيط

منذ بدأت رحلتنا من جدة حتى وصلنا الى القاهرة ، كنا نسرد أسماءنا في كل مناسبة . عند موظفى الجوازات والحجر الصحي وموظفى الباخرة والفندق الخ .. ولذلك عندما خرجنا في أول ليلة لوصولنا الى القاهرة نطلب النزهة وذهبنا الى احدى دور السينما العامة في حي السيدة زينب وجدنا عند مدخل الدار شباك التذاكر والعامل جالس خلفه لأخذ النقود ، فأردت أن أظهر النباهة وسرعة الخاطر ، فتقدمت الزملاء وطلبت من الرجل خمس عشرة تذكرة ، وبدأت أملى عليه الأسماء ليعطينا التذاكر بموجبها .. وحملق الرجل في وجهى تارة ، ثم في طربوشي وبدلتى تارة أخرى ، وكان الزي الأفرنجي لم يزل غريباً على جسمى ، ولا بد أن ربطة العنق كانت توحى بأنى غريب على البلد وعلى الملابس الأفرنجية وعلى دور السينما . ثم انفجر الرجل ضاحكاً وانفجر الزملاء خلفى يضحكون اظهاراً لشعورهم الكريم نحو هذه العباطة التاريخية .

وفي ليلة تالية ذهبت مع شرف كاظم مبكرين لحجز الأماكن لنا وللزملاء وكنا قبل أن نختار الدار التى سنتنزه فيها نبحث عن أقرب مسجد اليها لأداء الفريضة

.. وحجزنا الأماكن ثم ذهبنا لصلاة المغرب في مسجد قريب في شارع عماد الدين ـ وعلى فكرة ـ كان السيد ولى الدين يسميه شارع ـ هدم الدين ـ وعند عودتنا أخطأنا الطريق وأخذنا نتخبط في الشوارع وكلها متشابهة على الغريب وأخيراً وصلنا راكضين لنجد العرض قد بدأ ولنجد اخواننا على باب الدار يمطروننا بوابل من الشتائم المنتقاة من حارة أسفل .

ثم بدأنا نستعد لدخول الجامعة ، وما أدراك ما الجامعة .. وهذا موضوع الذكرى القادمة ان شاء الله.

□ ■ □

على أبواب الجامعة

كان مجموعي يؤهلني لدخول كلية الطب وفعلا قـدم اسمى لهذه الكلية وان كان راودني شعور بالرغبة في الدخول في كلية الآداب ولـكني تغلبت أخيراً على هـذا الشعور ، وكان السيد ولى الدين يأخذنا ويدور بنا على الكليات وأخذت بعض الكليات تعتذر لوصولنا بعد شهر من ابتداء الدراسة وللخوف من ضعف مستوانا : فعميد كلية التجارة لم يقبل زملاءنا في الكلية الا بعد جهـود جبارة من السيد ولى الدين ومع ذلك كان زملاؤنا دائماً في مقدمة الناجحـين رغم أنهـم كانوا لا يعرفون اللغـة الفرنسـية ، ودرسـوا مقرر الثانوي والسنة الأولى في بضعة شهور .. ووصلنا قبل أن يصل التحويل للسـيد ولى الدين ولم يكن في الامكان دخول كلية الطب الا بعد دفع المصاريف الدراسـية مقـدماً ولم تكن عندى نقود تكفي لذلك، وعرض علىّ بعض الزملاء المساعدة فأبيت شاكراً حتى وصـل التحـويل للسـيد ولى الدين ودفع لى المصاريف .. وبقيت مشكلة البادكوك .. رغب في دخول كلية الطب .. وكان العدد المسموح لغـاية ثلاثة فقط فقدم له السيد ولى الدين في كلية الزراعة .. فشق ذلك على البادكوك .. لقد كانت أمنيته وهو في الثانوي أن يتعلم الصيدلة ويفتح صيدليـة في شـارع فيصل بجدة

ويتضارب كل يوم مع سعيد تمر بزجاجات حامض الكبريتيك .. انه يرى أمنيته تتبخر .. وأتى المرحوم خاله يتوسط دون جدوى .. وقد وعدنا خاله بأكلة ديك رومي ظل ـ رحمه الله ـ يتملص منها حتى توفي .. وكان كلما جاء الى البعثة نلتفحوله ونرحب به ونتحدث عن فوائد الديك الرومي .. ولكن آمالنا تبخرت كما تبخرت آمال البادكوك في كلية الطب .. وأخيراً دخل الزراعة مكرهاً .. ترى لو عادت به الأيام الى الوراء فهل يختار بديلا بالزراعة وفوائدها الجمة وثمرتها اللطيفة في كازينو كيلو عشرة ؟.

□ ■ □

ترام رقم ٢٢

كان هـذا الترام هو وسيلتنا الوحيدة للوصـول الى اعـدادى الطب بكليـة العـلوم بالعباسـية نصف أيام الأسبوع ، وهو ترام يمر من المذبح الى العباسية ، وكان مزدحماً دائماً بالجزارين والعمال الذين كانوا يعملون في الورش الانجليزية بالعباسية وكنـا نبكر في الذهاب الى الكلية لحجز الأماكن في الصفوف الأولى فلا نجد مكاناً في الترام الا على السـلم ، وفي الشتاء كنا نلاقى كثيراً من المتاعب وتكاد أيدينا تتجمد ونحن نمسك الحـديد ولم يكن في الامكان اسـتئجار تاكسى أو الركوب في الدرجة الأولى .. وفوق ذلك أصبنا جميعاً بالحكة عند وصولنـا الى مصر . كنا نلبس الملابس الصوفية لأول مرة ونتعرض للشمس فتبدأ الحكة ونبدأ في خلع ملابسنا في الشوارع العامة وكان منظراً مثيراً للضحك ولـكننا كنا مضطرين لشـدة اصـابتنا بالحكة مما يضطرنا لنـزع ملابسـنا الصوفية .

وقد يسبق أحدنا زملاءه الى الكلية ويحجز لهم الأماكن فنستدل على مكانه في المدرج بطربوشه ، فقد كان الخروج من دارنا بدون طربوش يعرضـنا للخصم من رواتبنا . وكنـا الوحيـدين بين الطلبـة تقريبـاً الـذين نلبس

الطرابيش . وكنا نتناول وجبة الغذاء في الكلية بقرشين أو ثلاثة على قدر الحال فقد كان راتبنا الشهري من البعثة جنيهاً ونصف جنيه مصري بالوفاء والتمام ، وكنا نذهب في نصف الأسبوع الى كلية العلوم بالجيزة لأخذ دروس الطبيعة والكيمياء وهكذا كانت سنتنا الأولى في مصر غير مستقرة ونعود الى البيت يومياً مع الغروب لنستأنف المذاكرة حتى بعد منتصف الليل وكثيراً ما كان السيد ولى الدين يأتى الى غرفتنا ويجبرنا على انهاء المذاكرة والنوم راحة لأجسامنا ورحمة بنا من كثرة الارهاق .

لقد كانت سنة مليئة بالعرق والدموع ومع ذلك فقد نجحنا جميعاً فيها رغم تأخرنا عن بدء الدراسة ورغم غربتنا ومشاكلنا البيتية . فقد كانت اعدادى الطب ولا تزال من أصعب سنوات الدراسة ولكن الله كتب لنا النجاح فيها والحمد لله

□■□

السلف والخلف

أما السلف فهـو بكل تواضع وحياء وخجـل الداعي وزملاؤه أعضاء أول بعثة أرسلت الى مصر من مدرسـة تحضـير البعثـات .. كنا محافظين جداً على كل شيء .. الصلاة في أوقاتها جماعة بدار البعثة ولم يكن أحد منا يتخلف عن الصـلاة خوفاً من خصم الراتب كما اتبـع السـيد ولى الدين مع البعثات اللاحقـة .. والطربوش كان من المستحيل أن نغادر الدار بدونه في الـكلية وفي الأسواق وفي المنتزهات .. وكانت النزهة المفضلة عنـد السيد ولى الدين التى ينصحنا بها دائماً هي أن نذهب الى كوبرى قصر النيل القريب من دارنا ونقضى فيه المساء لنستنشق هواء البحر الأبيض المتوسط حتى لم نبق بقية من هذا الهواء لغيرنا ..وكنا لا نخرج الا جماعات وكثيراً ما كنا نشاهد مجموعـة واحـدة : وكنا اذا سمعنا عن منتزه جديد أو دار جديد ، للفسحة لا يسمح لنا السيد ولى الدين الا بعـد أن يصحبنا اليهـا في أول مرة فان وجـدها تتمشى مع الفضـائل والأخلاق سمح لنا بهـا فيما بعد . وكنا لا نتأخر خارج الدار في المساء الا ليلة الجمعة فقط حيث نتأخر حتى الساعة التاسعة والنصف أفرنجي ونعـود لنجد السيد ولى الدين في الدار يسـجل حضورنا ولا أذكر أننا تأخرنا عن هذا الموعد قط طيلة

عام كامل الا مرتين تعرضنا فيها للتحقيق والتهديد بالخصم ثم تبنا .. وكان من الأيام المحرم علينا فيها الخروج من البعثة يوم شمم النسيم لأنه يوم تنتحر فيه الفضيلة على رأي السيد ولى الدين وهو يوم لا يبقى فيه انسان في داره في مصر ..

ان السيد ولى الدين مجموعة فضائل وأخلاق ويحرص على التربية الدينية العربية ، ومن حسن الصدف أنى أصل الى هذه الحلقة من المذكرات في الوقت الذى تلقيت فيه نشرة منه عن مدارس منيل الروضة التى يشرف عليها والتى تعد من أرقى المدارس الخاصة في مصر من حيث منهاج الدراسة فضلا عن التربية الدينية العربية التى يخص بها طلابها .

هذا ما كان من أمر السلف ، ثم جاءت البعثة الثانية أو على الأصح جاء الخلف ـ بسكون اللام ـ وبدأت حياتنا في البعثة تدخل في طور جديد .. ويكفى أن تعرف أن من طلاب البعثة الثانية أسعد جمجوم وعبد الله مراد وحسين العطاس لتعرف مقدار التطور الجديد .. ولعل الحادث الذى نرويه في العدد القادم يعتبر نقطة التحول في تاريخنا في البعثة .

□■□

على عربية كارو

وصل أعضاء البعثة الثانية واستقبلناها مرحبين وأخذنا نسمع منهم أخبار الوطن فقد كنا في شوق اليه طيلة عام كامل .. كانت الحرب في العلمين والمواصلات بيننا وبين المملكة بطيئة جداً وهي محصورة في المواصلات البحرية في ذلك الوقت . وذهبنا مع الزملاء والسيد ولى الدين الى محلات أفيرينو وأخذنا نلبسهم البدل الجاهزة ونعلمهم ربطة العنق ثم وضعنا الطرابيش على رؤوسهم حسب النظام المتبع في البعثة .. وفي مساء يوم وصولهم أحبوا أن يزوروا معالم القاهرة ويتفسحوا وكان رائدهم في ذلك المساء أسعد جمجوم فماذا يفعل ؟ قال لهم ان المشي متعب والمسافة بعيدة وكان قد سبقهم بأيام وعرف أشياء كثيرة عن البلد واستدعى عربية «كارو» من التى يركب عليها النساء البلديات في القاهرة وأركب الزملاء المحترمين ببدلهم الأنيقة وطرابيشهم المحترمة . فكنت ترى المشائخ : بابصيل وصالح جمال وحسن فقيها وعبد الله مراد وعبد القادر كعكي يتربعون على العربية الكارو ومعهم بالطبع أسعد جمجوم لئلا ينفضح المقلب .. وأخذ يتجول بهم في شوارع القاهرة والناس في عجب من هذا المنظر الطرابيشى وهم لا يعلمون سر تعجب الناس . شيء واحد ألوم أسعد

عليه وهو أنه لم يأخذ صورة فوتوغرافية لهذه المجموعة العجيبة على العربية «الكارو» لأن هذه الصورة لو ظهرت مع هذه الذكرى لكانت رائعة . حقاً لقد كان هذا الحادث نقطة التحول في تاريخ البعثة .. لقد انقلب البيت الهادىء الوديع الى مكان صاخب ملىء بالمقالب والحركة كما سترى في الذكريات التالية .



الكمسارية اشتكوا

لقد مرت بنا مع الـكمسارية في مصر طرائف كثيرة تستحق أن نفرد لها هذه المذكرة وهذه الطرائف تشمل بطبيعة الحال فن التزويغ من دفع التذاكر وقد برعنا في هذا الفن الى حد كبير وكان من بين أصدقائنا كمسارى ترام أزهـري ويحمل شـهادة الأزهر ويحفظ كثيراً من الشعر والأقوال المأثورة كنا نعقـد معـه ندوة أدبيـة متنقلة .. وكانت محطة الأتوبيس المجاورة لدار البعثة اسمها ـ المنيل ـ وكان أحد زملائنـا يصر على تسميتها ـ بالمنبل ـ بالباء المشددة وقتاً طويلا ..وبجوارنا محطة ترام اسمها محطة (دير النحاس) وجاء يوماً شرف كاظم يشكو من غباء الـكمسارى لأنه طلب منه النزول عنـد محطة (زير النحاس) فلم يفهم فانفجر رشيد رضوان ضاحكاً لأن شرف قليل الفهم ولم يعرف أن هذه المحطـة اسمها (بير النحاس) . وهكذا تحور اسم هذه المحطـة كل هـذه التحـورات . والكمسارية الغلابة محتـارون بيننا .. وللبادكوك قصة طريفة مع كمسارى ترام ومع عمدة كان راكباً في الترام فأما قصته مع الكمسارى فهي التى سأذكرها فيما يلي ، وأما قصته مع العمدة فأنا على استعداد لروايتهـا شـفهياً لمن يطلبهـا .. وعلى فـكرة البادكوك المذكور في هذه المذكرات هو الأستاذ محمـد

بادكوكمدير فرع الزراعة بجدة وليس بادكوك الخارجية وأنا أذكر هذا التصحيح بنـــاء على طلب الصــديق ... والقصة مع الكمسارى حــدثت بعد وصولنـــا الى مصر ونحن نسكن حي عابدين .. خــرجنا نريد الجامعــة في الجيزة وعندما وصـــل الترام تهيــأ البادكوك للصـــعود فوضع شنطته في الترام واستعد للركوبولكن الكمسارى نفخ زمارته ومشى الترام بالشنطة والبـــادكوك يجـــرى خلف الترام ويصيح (استنى ياعمى) والكمسارى ينفخ زمارته ويضـــحك والنـــاس يضـــحكون حتى وقف الترام ووصل البادكوك وأنفاسه منقطعة ، وما أن استقر على المقعد وجفف عرقه حتى انفجر ضاحكاً واستمر الضحك في الترام حتى وصلنا .

وقصة أخيرة مع الكمسارية .. وصل سليمان سلامة الى مصر وكان الوصى عليه ابن عمته أسعد جمجوم (آخر زمن) فأخذه في القطار الى الاسكندرية لالحـــاقه بكليــة فيكتوريا وأخذ أسعد تذكرة ونصف لهما وكان سليمان طويلا وكان لا يزال خجولا .. ومشى بهما القطار وأقبل الكمسارى يسأل عن التذاكر وســأل عن صاحب نصف التذكرة فأشار أســعد الى سليمان فطلب الكمسارى من سليمان الوقوف فوقف وأنظـــار النـــاس تتطلع اليــه والكمسارى يقــول : (شوفو يا أفنــدية كل ده نصف

راكب) والعرق يتصبب من سليمان وأسعد يضحك ثم دفعوا فرق التـذكرة والغـرامة وسليمان يلعن الوصية والوصى المحترم .



تشكيل العصابة

اعتاد بعض زملائنا في البعثة أن تصل اليهم مواد غذائية من أهاليهم يبرونهم بها بينما كان البعض الآخر محرومين والمساواة كانت واجبة ونحن نعيش في بيئة واحدة . وكانت الصراصير لا تنقطع عن دار البعثة وبعد البحث عن السبب وجد أن المواد الغذائية المخزنة في دواليب بعض الزملاء من أهم العوامل في تكاثر الصراصير .. كل هذه العوامل أوحت الى حسين العطاس وأسعد جمجوم بتشكيل العصابة في البعثة .. وهكذا كانت أهدافها النبيلة تنحصر فيما يلى :

١ ـ المساواة بين الزملاء .

٢ ـ مكافحة الصراصير .

٣ ـ عمل المقالب الطريفة للترفيه عن طلاب البعثة.

وقد ساعد السيد ولى الدين أسعد مراقب البعثة على بعث هذه العصابة من حيث لا يشعر وان كان قد عانى منها ومن مكافحتها الشيء الكثير .. فقد أخبرنا ذات مرة أن البعثة الأولى التى كان أحد طلابها انقطعت مواردها مرة وعانى طلابها افلاساً شديداً وكان السيد محمد شطا من أحرص أعضائها فكان يدخر فتجد عنده الجبن والزيتون والحلويات والمواد الغذائية المختلفة فكان

السيد ولى الدين وزملاؤه الآخرون يهاجمون السـيد محمد في داره ويستولون على ما عنده من مدخرات .

وقد التحقت أنا بالعصـابة بعد أن عرفت أهدافهـا النبيلة وسـوف تحتل ذكريات العصـابة مكاناً كبيراً من هـذه المذكرات كما انضم الى العصـابة عدد طيب من الزملاء سـوف ترد أسماؤهم في هـذه المـذكرات حسب المناسبات .

وكان السيد أحمد شطا من أكبر مقاومى العصـابة حتى سميناه في بياناتنا التى كنا نصدرها ونعلقها خفية في المناسبات باسم (مدير الأمن العـام) .. ولم يتمكن أحـد من كشف أسرار العصـابة وخططها أبداً .. كان نصيبى المتواضع الاشـتراك في وضع الخطط أو تهذيب الخطط بحيث لا تحدث ثغرات ولا تنكشف الأعمال وكان أسعد جمجموم هو الرئيس الأعلى للعصابة وكنا نعقـد سنويـا اجتـماعا يحضره جميع طلاب البعثة ويلقى الرئيس بيانا عن أعمال العصابة يستهله بالعبارة المأثورة :
(حضرات اللصوص .. حضرات النشـالين) على وزن (حضرات الشيوخ .. حضرات النواب) .

أما حوادث هذه العصابة فأكثر من أن تحصى ولكنى سوف أذكر في الحلقات القادمة الحوادث البارزة والأعمال الانسانية النبيلة التى قامت بها هذه العصابة الجليلة .

أول اذاعة سعودية

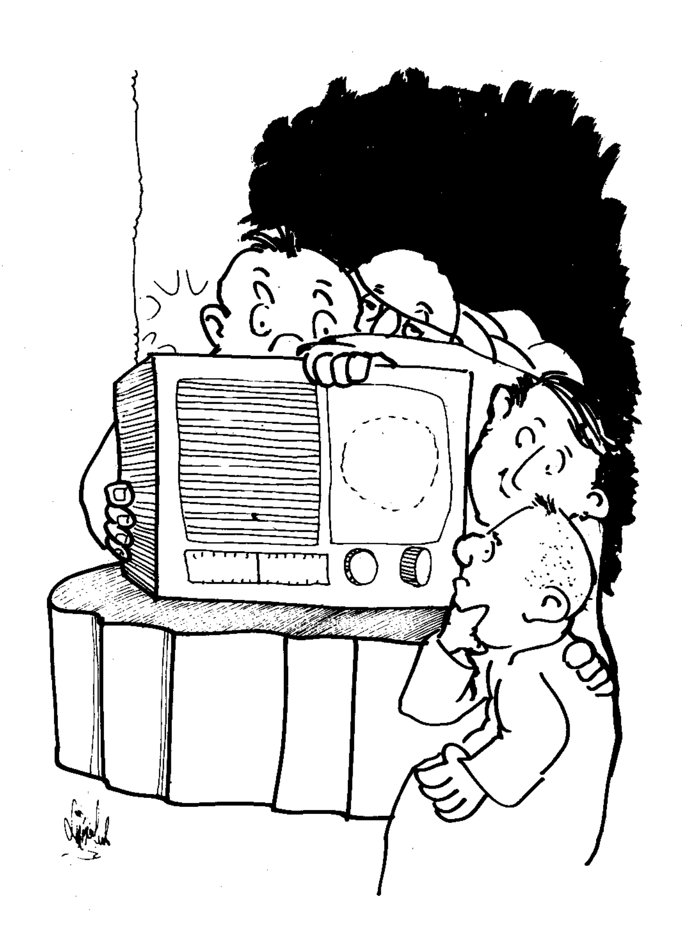
تصدر هذه الذكرى في أيام افتتاح المرسلة الجديدة للاذاعة ليعرف الناس أن أول اذاعة سعودية انبعثت من دار البعثة السعودية بالقاهرة منذ ثلاثة عشر عاماً ولم يكن اللاسلكي هو الذى ينقلها بل سلك صغير لا يتجاوز بضعة أمتار وبعدها انطلق المذيع بأول صيحة : (هنا مكة المكرمة) .. فكيف حدث ذلك ؟.

أحضر أسعد جمجوم الى دار البعثة جهاز ارسال صغير ، وضعناه في غرفة في الدور الثالث ووصلناه خفية بسلك صغير الى جهاز راديو في الدور الثاني وكنا حوالى خمسة نعرف السر وأذعنا بين طلاب البعثة أننا سمعنا ونحن ندير الراديو اعلاناً من راديو مكة بأنه سيفتتح رسمياً في تلك الليلة وحددنا الساعة . وكان الجميع في شوق لسماع صوت يأتي من الوطن الحبيب ، وكانت المواصلات مع المملكة لا تزال صعبة بسبب ظروف الحرب العالمية الأخيرة..وأعددنا برنامج الافتتاح وفي الساعة المحددة كان الزملاء الذين عليهم دور الاذاعة يقفون منتظرين أمام الميكرفون والبعض الآخر واقف مع طلاب البعثة الذين احتشدوا عن آخرهم لسماع أول اذاعة سعودية . وانطلق صوت المذيع يصف

حفلة الاستقبال ثم قال : (وهـذا هو الشـيخ عبد الله كاظم مدير عام البرق والبريد والتليفون يستقبل كبار المدعوين) وعند ذلك قفز شرف كاظم واقفاً وهو يصفق فرحاً وغبطة . ثم قـدم رشـيد رضوان ما تيسر من آي الذكر الحكيم بعد أن سميناه باسم أحد المقرئين الحجازيين وتقدم بعدها حامد دمنهوري بكلمة الافتتاح وقـدمناه باسم الأسـتاذ عبد الله عبد الجبـار لمدير عام الاذاعـة السعودية وقد علق الهرساني وهو يسمع الكلمة (بأنه صوت عبد الجبـار الذى لا ينـكر) ثم اختتمت حفـلة الافتتاح وبدأت الاذاعة تقدم البرنامج المعتاد فكان من ضمنه حديث أدبي للسيد أحمد العربي وانتحل شخصيته أحد الزملاء ثم قدمنا رشيد رضوان على أنه حسن لبنى حيث قدم دوراً حجازياً والسـادة المستمعون منسجمون يتأوهون ويرددون : (طيب ياأبو علي) .

وأخيراً جاءت نشرة الأخبار ولفقنا فيها بعض ما كان يشغل الأذهان من أخبار داخلية وخارجية وكان من أهم الأخبـار التى أذكرها خـبر عودة الشيخ عبد الرحمن بابصيل ــ رحمه الله ــ من السودان بعد شـفائه وكان أولاده سعيد وصالح يعلمان عن سفره وينتظران خـبر شفائه وعودته، وما ان أذاع المذيع هذا الخبر حتى فرحا وتعانقا وأخذ الزملاء يقدمون لهما التهاني الطيبة .. وبعد الانتهاء بدأ الزمـلاء يعرفون السر تدريجيـاً من

المشتركين في الخطة ماعدا **سعيد عمر العقاد وسعيد بابصيل** الذين ظلا الى وقت متأخر من الليل مرابطين بجانب الراديو يستمعون الى نشرة الأخبار وهي تعاد والى صوت حسن لبنى وهو يجلجل في أرجاء البعثة .



دفـــتر الضبط

وكنا في أيام البعثة الأولى لا نخرج الا جماعات وذلك بطبيعتنـــا دون أمر من المراقب . ثم لمـــا جاءت البعثـــة الثانية عمل السيد ولى الدين روادأ كنت واحداً منهـــم يرأسون الجماعات التى تخرج للفسحة في أعـــداد لا تقل عن ثلاثة .. ثم انتهى نظام الرواد بمرور الوقت وكان السيد ولى الدين يحتم علينا الكتابة في دفتر خاص اسم المكان الذى سنقضى فيه فسحة ليـــلة الجمعـــة ، ولم يكن يصرح لنا بالخروج الا ليلة الجمعة . وكان يرابط في دار البعثة في هذه الليلة ليسجل أوقات عودتنا ولم يكن يسمح لنا بالتأخر بعد العاشرة مساءاً بالتوقيت الأفرنجي .. وفي احدى ليالى الجمع كان السيد ولى الدين في دار البعثة يراقب خروجنا واذا برشـــيد رضوان ومحمد منصوري خارجان وقد لبس كل منهما ملابســـه الأنيقـــة فسألهما السيد ولى الدين : (الى أين ؟) فقـــالا بســـلامة نيـــة : (الكيت كات) وكانا قد رأيا اعلاناً عنه في الجريدة ولم يكونا يعرفان شيئاً بعد عن القاهرة . فانبرى لهما السيد ولى الدين : (كيت كات في عينكم ، ان شاء الله أكتكت دماغكم) . وألقى عليهمـــا محاضرة جـــديدة في فـــوائد استنشاق هواء البحر الأبيض المتوسط .. وقـــد استمر دفـــتر الضبط حتى جاء أســـعد جمجوم وكان ســـبباً في

الغائه . كتب فيه ذات ليلة : سأذهب الى محل كذا رواية كذا ، تمثيل كذا ، اخراج كذا ، تصوير كذا ، انتاج كذا .. وهكذا حتى ملأ صفحة كاملة من دفـتر الضبط وعندما اطلع السـيد ولى الدين على الدفتر أعلن خصم خمسين قرشاً من راتب أسعد .. فسكت أسعد حتى كانت ليلة البريد التى يسهر فيها السيد ولى الدين في البعثـة ليعد الرسائل للمعارف .. وكان أسعد هو المكلف بصيانة كهرباء البعثة مقابل مـكافأة خاصـة .. أطفـأ أسـعد الكهرباء في تلك الليلة وثار السيد ولى الدين واستدعى أسعد ، فساومه أسعد على اصلاح الكهرباء مقابل اعادة الخمسين قرشاً المخصومة .. وفعلا سلم السيد ولى الدين المبلغ لأسعد الذى أصلح الكهرباء في الحـال .. وهـكذا كان أسعد جزاه الله خـيراً أول من دق مسماراً في نعش دفتر الضبط ثم توالت الحوادث وانتهى هذا الدفتر الى غير رجعة .

□■□

من حــوادث العصــابة

للعصابة حــوادث هامة تستحق أن يفرد لــكل حادثة منها فصل خاص من هــذه المذكرات وهــذا ما سنراه ، ولكن هنــاك حوادث صغيرة أذكر بعضها في هذه المذكرة كنماذج صغيرة ..

وصلت الى محمد منصوري علبة تمر محشــوة باللوز بهــا نحــو أقتــين ووصلت الينــا الأخبــار فصادرناها ووجدناها لذيذة جداً وعليها سمسم .. ثم وضعناها في مكان أمين للتزود منها عند الحاجة وكان الوقت بعــد الظهر .. وفي المساء كنا نتعشى في دار البعثة وكان الأكل في ذلك اليوم دجاجاً وهو من الأيام الهامة في البعثة .

وعند خروجنا من المطعم علمنا أن السيد ولى الدين قد بلغه الحادث وانه سيقوم بحملة تفتيش وفي الحــال صعدنا الى مخبأ التمر وكنا خمسة ولم نترك العلبة حتى أكلنا جميع ما فيها رغم عشائنا الدسم وألقينا العلبــة في الشارع .. وفتش السيد ولىَ الدين فلم يجد شيئاً .. وحدث بعدها أن جاءت تنكة تمر لعبد الله البغدادي ولم تكن محشوة باللوز فصادرناها وأخذنا نأكل منها ونوزع على الطــلاب . وكنا نعمل ذلك في الخفــاء حتى لا يرانا البغدادي .. وفي اليوم التــالى علمنا أن البغدادي شــكا للســيد ولى الدين مراقب البعثــة وكأنه أراد أن يثــير



اهتمامه فأخبره أنها تمر باللوز .. وما أن علمنا حتى أخرجنا التنكة من مخبئها وآخذنا نأكل علناً والبغدادي لا يستطيع أن يتكلم فانه قد شكا عن فقد تمر باللوز ..

وجاءت بعثة جديدة فيها هاشم طاهر وأحضر معه زنبيل بلح زهو .. وهذا شيء نادر في مصر .. ووقفنا على الباب نرحب بالزملاء الجدد ونراقب ما معهم في نفس الوقت فقد كانت العصابة تنشط عند وصول قادمين جدد محملين بما لذ وطاب .. ووضع هاشم زنبيل البلح على باب غرفة السيد ولى الدين ودخل ليسلم عليه .. وأسرع الطريقي ـ وكان من الأعضاء البارزين ـ وأخذ الزنبيل ووضعه عند الطلاب المصريين الذين كانوا يسكنون على سطح البعثة ولم يكونوا عرضة للتفتيش .. وخرج هاشم ليجد الزنبيل قد طار .. فعاد الى السيد ولى الدين وشكا له فضحك السيد ولى الدين لأنه أدرك السر وأراد هاشم أن يثير اهتمام السيد ولى الدين أكثر فأخبره أنه أحضر الزنبيل هدية له .. فقال السيد ولى الدين انه ما دام الأمر كذلك فانه يشكره ويعتبر الزنبيل قد وصل ، فقد كان السيد ولى الدين يعرف من سوابق العصابة أن لا فائدة من البحث وحرقان الدم .. وخرج هاشم وهو غضبان لهذا الاستقبال البارد في الوقت الذى كان فيه أعضاء العصابة يتمتعون بأكلتهم الشهية على سطح البعثة ..

الأطبـاق الطائرة

كثيراً ما سمعنا عن الأطباق الطائرة وهل هي حقيقة أم خرافة . أما طلاب البعثات الأوائل بمصر فقد كانوا يعرفون انها حقيقة وان الفضل في اختـراعها يعود الى عبد الله أبو العينين .. كنا نتناول الغذاء في دار البعثـة بعابدين .. وكانت هناك فرقة تحريش سوف أفرد لهـا حلقـة خاصة من هـذه المذكرات . أخـذت الفـرقة في التحريش بين علوى جفرى وعبد الله أبو العينين على أمل مشاهدة فصل شيق من فصول المضـاربة بعد الأكل .. ولكننا فوجئنا جميعاً بطبـق الملوخيـة الـكبير يحمـله عبد الله أبو العينين ويصـبه على علوى جفرى .. ورغم أننا حرمنا من الملوخية فقد كنا مسرورين لهذا المنظر الشائق .. وعقدت الدهشة لسان علوى وقام من فـوره ليبدل ملابسه ..

ثم تكررت بعد ذلك حوادث الأطباق الطائرة في البعثة حتى جاء حسـين العطـاس وقام بتجديد خطير في هـذا الاختراع كنا نتناول العشاء بدار البعثـة في الروضـة وفرق التحريش تؤدى واجبها بين العطاس والبغـدادي واذا بالعطاس يحمل طرابيزة الأكل بأجمعها ، ويقذفها على البغدادي ويحرمنا من العشـاء في تلك الليـلة ..

ومن يومها أوقفنا هذه التجارب بعد أن تطورت وأصبحت تهدد البعثة بالجوع والحرمان .

وبمناسبة ذكر حادثة أبو العينين أذكر أنه كان سهل المنال لفرق التحريش .. كنا ذات ليلة نصلي العشاء ومن عادة السيد ولي الدين أن يطيل الصلاة حتى يدركها الجميع .. وأثناء الصلاة سمعنا في الغرفة المجاورة حركات عنف وضرب ولكم وآهات مكتومة وزجاجاً يتكسر وأثاثاً يتناثر فعلمنا أن هناك مضاربة وان كنا لم نعرف المشتركين فيها .. وما أن انتهت الصلاة حتى تسابقنا لنمتع الأنظار بهذا المشهد الجميل .

فوجدنا رشيد رضوان وعبد الله أبو العينين في صراع غير متكافيء .. وفصل بينهما السيد ولي الدين ـ سامحه الله ـ وحرمنا من مشاهدة الفصل الأخير لهذه المضاربة الشيقة .

□ ■ □

فلسفة الفلسفة

صديقنا الأستاذ السيد محمد عمر عقيل من الشخصيات الظريفة.. زاملناه مرة في القسم الداخلي بمدرسة تحضير البعثات ولنا معه فصول كثيرة .. كان يستيقظ متأخراً فيفطر وحده ويتضايق المراقب من أمره ويظل يراقب انتهاءه بفروغ صبر .. ومرة كب كأس الحليب على الأرض وبدلا من أن يبادر بتنظيف الأرض أخذ يلعب في الحليب بأصبعه ويقول بالانجليزية : (ما هذا) وأفهمنا المراقب أنه يتكلم بألفاظ بذيئة ، وكانت واقعة لطيفة .. وله مع البادكوك فصول لطيفة رويت بعضها في مذكرات سابقة حتى اضطر البادكوك لأن يهجوه فى قصيدة أذكر منها :

أسبك سب كبايا وعسلا اذا انبرتا لشخص بالخصام

وكباية وعسلة كانتا تبيعان الفول النابت في النورية بجدة ، ولم يعجبه كتاب الكيمياء ذات مرة فوضع له ملخصاً كان محشواً بالمعلومات المغلوطة واتفقنا وقتها مع الأستاذ رشوان على تسمية هذا الملخص (كيمياء الشبيبة ــ تأليف أبو زبيبة) وبالطبع كان هذا الملخص سبباً في دخوله الملحق في الكيمياء ولا بد أنه اقتنع بعدم صلاحيته لأنه نجح في الملحق .. واختلط عليه النفي

والاستفهام في اللغة الانجليزية وهو يصرف جملة (عندى قلم) .. وأخيراً ابتدع طريقة للتعبير عن الاثبات والنفي والاستفهام ، فعندما يريد الاثبات يقول : (عندى قلم) بلهجة عادية ، وعندما يريد النفي يقولها بنفس ألفاظها مع تحريك رأسه يميناً ويساراً ، وعندما يريد الاستفهام يقولها بنفس ألفاظها ولكن بلهجة استفهامية .. والذين يعرفون الانجليزية يدركون أن هنـــاك تغييراً يطرأ على الجملة في الحالات الثلاث .

ولما سافرنا الى مصر التحق مع زملائه بكلية الآداب .. وذهبوا جميعاً للســلام عــلى العميــد وكان الدكتور ابراهيم حسن .. وبالطبع قـدموا الســيد عمــر عقيل لالقاء كلمة نيابة عنهم فألقى كلمة ارتجالية ، فمــاذا قال ؟ كان يريد أن يقول اننا كنا متهيبين من هذا اللقاء فاذا بنا نجد من تواضعكم ولطف شخصيتكم ما أزال هذا التهيب .. ولكنه عبر عن ذلك بقوله : (لقــد كنا نظن أننا سنقابل رجلا عظيماً) ثم أدرك أنه تورط وبعــد وقفة بســيطة اســتدرك قائلا : (والواقع انه عظيم) وكان يلقى الخطاب من هذا الطراز ..

ثم جاء اختبار الفلسفة ، وبعد أن اطلع على الأسئلة أخذ ورقة الاجابة وكتب عليها : (ان هذه الأسئلة غلط .. وكان ينبغي أن تكون الأســئلة كذا وكذا) ثم أجاب على الأسئلة التى وضعها هو وكانت النتيجة أن ســقط

في الفلســفة أو على الأصح في فلســفة الفلسفة . وترك بعدها كلية الآداب والتحق بكلية الحقوق . وهو يستعد الآن لدخول اختبار الدكتوراه .. حتى اذا عاد الى بلاده فائزاً منتصراً وقد بلغ السن النظامية يحال فــورا الى التقاعد والله ولي التوفيق .

□■□

عرق .. ودموع

لم تكن حياتنا في الدراسة كلها ضحكات شابة ونوادر لطيفة .. لقد كان يتخللها لحظات من الأسى وساعات من العرق والدموع .. كنا نحبس أنفسنا طوعاً واختياراً أياماً عديدة بل وشهوراً قبل الاختبار لا نغادر دار البعثة اطلاقاً .. وكنا نقف تحت باب الكلية ساعات ننتظر نتيجة الاختبار كما ينتظر المتهمون نتائج الحكم عليهم .. وكانت هذه الساعات من أشد الساعات حرجاً في حياتنا .. تكاد قلوبنا تتمزق من تسرعها ، وتكاد أقدامنا لا تقوى على حملنا ، ونكاد نسابق الثواني لنعرف ما يخبؤه لنا القدر .. وكما ذقت حلاوة النجاح كثيراً عرفت مرارة السقوط مرة وكانت صدمة قاسية لى وأنا الذى تعودت على الفوز المحلق .. ولكننى سرعان ما تقبلت الصدمة واتخذت منها طريقاً لمعاودة السير في طريق النجاح .

كنا نقضى الساعات الطويلة في العمل في الكلية دون طعام الا لقيمات نتناولها ساعة الظهر هي ما كنا نجده في مقصف الكلية .. وكنا نخرج من غرفة التشريح ورائحة الموت تزكم أنوفنا ؛ وأيدينا ملوثة نعجز عن تنظيفها ؛ ثم ندخل الى المقصف لتناول الغذاء أو لشرب الشاي .


النتائج

ولم تكن ساعات النهار تكفي لاستيعاب الدروس فكنا نتردد على الأساتذة لأخذ دروس خاصة وخصوصاً في السنة الأولى . لا نشبع بنوم أبداً .. ننام خمس ساعات أو ستاً على الأكثر لنستيقظ من جديد استعداداً ليوم حافل آخر ، ولم يكن لدينا وقت للنوم بعد الظهر ولم تكن هذه الساعات كافية لمن كان في مثل عمرنا .

لقد كانت سنوات شقاء وعذاب .. ولكن سكننا في دار البعثة مع اخواننا الآخرين كان يجعل من أوقاتنا في الدار ساعات سرور ومرح .

□■□

أول خبر وفاة

كان ذلك يوم شم النسيم وكان يوماً عاصفاً شديد الحرارة ، وقد سافر أسعد جمجوم الى السويس لتوديع بعض أقاربه ، وكنا في دار البعثة بعد الظهر عندما رن جرس التليفون .. ورفع السيد ابراهيم الوسيةالسماعة ليسمع نبأ وفاة الشيخ حامد رويحى ـ أطال الله حياته ـ فأخبر الشيخ عمر رفيع مدير البعثة المساعد الذى أسرع الى المرحوم السيد صالح شطا وكان في مصر يقضى فترة العلاج وأبلغه النبأ .. واستقل الجميع سيارة تاكسى وأخذوا معهم المرحوم عبد الحميد رويحي دون أن يخبروه بالحادث لئلا يصدم .. وتحرك التاكسى من الروضة وبعد أن سار قليلا سأل الوسية عبد الحميد : (هل والدك مريض) فأجاب عبد الحميد بالنفي . وبعد أن وصل التاكسى الى القصر العيني جاء دور الشيخ عمر الذى سأل عبد الحميد : (نحن سمعنا أنه مريض وقلبه في خطر) ولكن عبد الحميد أنكر .. وعندما وصل التاكسى الىميدان قصر النيل وأوشكوا أن يصلوا الى دار الرويحي التفت السيد صالح الى عبد الحميد ـ رحمهما الله وقال له : (لقد بلغنا أن والدك توفي ، والموت حق ..الخ) وهكذا نقلوا الخبر تدريجياً الى الابن المسكين الذى تولته الدهشة والخوف فقد كان مع والده في مساء اليوم



السابق وهو بخير وعافية ، ووصل التاكسى أخيراً الى دار الرويحي .. وصعد الجميع ليجدوا الشيخ حامد يداعب تعميرة الجراك .. وانقلب حزنهم الى مباسطة وسرور .. ثم عادوا الى دار البعثـــة ليكتشفوا فيما بعد أن أســـعد جمجوم هو الذى دبر المكالمة التليفونيـــة .. ولكنهم لم يتعظوا فقد كانوا فريسة لمقالب تليفونية أخرى كمـــا سنرى في هذه المذكرات .



فرق التحريش

كان يلذ لنا في البعثة التحريش بين الزملاء ؛ ونسر جميعاً لمنظر المضاربات؛ ومن الذين اشتهروا بالتحريش أحمد شطا وحسن شطا وشرف كاظم وأمين جاوه وعلي غسال والداعى .. ولو أننى أردت استقصاء جميع المضاربات لوفيت مجلداً عنها هذا اذا أسعفتنىالذاكرة. ولكننى سأذكر أهمها اليوم وفي بعض الحلقات التالية ..

كان لا يمر يوم الا نحرش فيه بين أحمد شطا وسعيد آدم وكانا يقضيان الساعات في المضاربة بالأيدى وبجرادل الماء ونحن نتفرج ونوقد النار كلما أوشكت أن تنطفيء .

وعندما جاء محمد صالح رضوان الى مصر لأول مرة كان الشيخ حامد رويحي ولي أمره وأوصى ابنه المرحوم عبد الحميد بملاحظته وكان الأخير يسكن معنا في البعثة ويأتى محمد صالح لزيارته ويظهر له الاحترام والأدب فأردنا أن نزيل هذا الحجاب بينهما وأخذنا نحرش بينهما وكان التوفيق حليفنا ولكن محمد صالح كان يأتى ببدلته ويخشى تمزقها فأعددنا له ثوباً خاصاً للمضاربة نقدمه له حال دخوله الى دار البعثة لتبدأ

المضـــاربة ونمتـــع أنظـــارنا بمشاهدة الفـــوارق وهي تتحطم بين التلميذ وبين ولي أمره .

واحتدمت المناقشة يوماً بين الــكعكي والبغدادي .. ونحن نضحك ونوقد النار .. وثار البغدادي ولكنه وزن الأمور فوجد أنه من الحماقة مهاجمة الكعكي وهو أقوى منه فغافل أسعد جمجوم وهجم عليه واشتبك الاثنـــان وكانت النتيجة أن تغلب أسعد على البغدادي .. وبعد أن تفرقا قال البغدادي لأسعد : (كل يوم زي كده) رغم أن البغدادي كان مغلوباً .

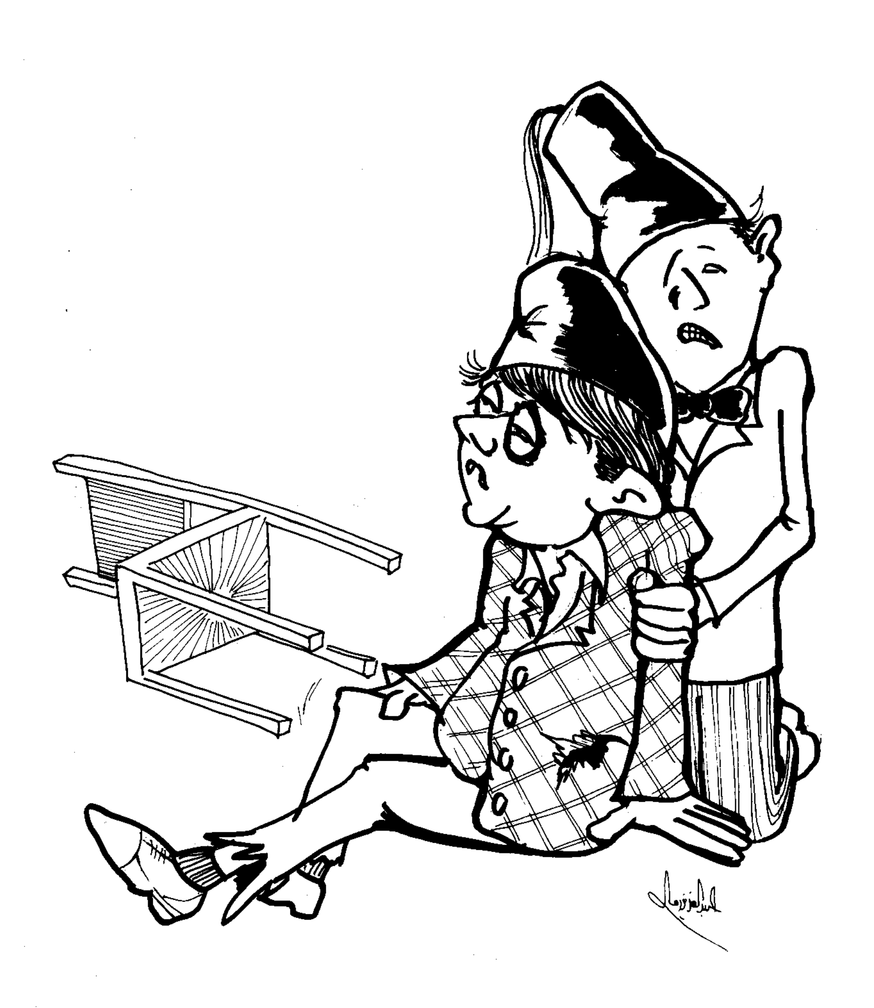
ومن ألطف التحريشات ما قمنا به بين علوى جفرى وســـلطان زمزمي . وكانا ينـــامان في غرفة واحـــدة .. ويتـــكلمان أثنـــاء النـــوم ، بل ويمشيان .. وكان من عادتهما أن يغلبهما النوم مبكرين، وذات ليلة كنا نذاكر في غرفتهما بدأ أحدهما يتكلم وهو نائم وأخـــذ الآخـــر يرد عليه فتدخلنا وحرشنا بينهما في الكلام فأخذا يكيلان الشتائم لبعضهما وهما نائمان..وأخيراً بلغ بهما الحماس أن قاما ليتضاربا دون أن يشعر أحـــدهما بشيء .. ولم يستيقظا من النوم الا على رنين الكفوف يكيلهما أحدهما للآخر .. ونحن نكاد نموت من الضحك على هذا المنظـــر الفريد .

□■□

زواج أبو شفوع

وأبو شفوع هو الشافعي مساعد الطباخ في البعثة ومن أهل مكة .. وكان شخصية طريفة تمكنت منه الحاروية . وكنت تراه دائماً في فناء البعثة (يتقاشع) مع المنيعي أو الغسال أو محمود مرداد . ولقد تزوج مرتين ونحن في مصر وذهب الزملاء يحضرون الزواج الأول وبدأ الفرح . وكان أقارب العروس وأصدقاؤهم من فتوات الحسينية على ما يظهر : وأمثال هذه الأفراح في مصر تنتهي غالباً بمعركة والا فقد الفرح أهم خصائصه ولم يجد الفتوات ما يفتخرون به .. وتصدى واحد من الفتوات لطلاب البعثة وفيهم (النشامي) المعدودون فبرز له المنيعي و (خش) له وسط على الطريقة الحجازية في المضاربة .. ولكن يظهر أن الفتوة لم يعترف بهذه الطريقة فاستعمل (البوكس) وفي لحظة كان أخونا المنيعي ممدداً على الأرض دون حراك .. ودوت الزغاريد تحيى فتوة الحسينية . أما فتوة الحجون فقد حمله زملاؤه الذين آثروا السلامة وعادوا الى دار البعثة قانعين من الفرح بالفرار .

وجاء زواج أبو شفوع للمرة الثانية .. وذهبنا لنكبر يومه ولنساهم في النقطة وألف مرة والجدعان وغير



ذلك من مظاهـر الفـرح البـلدي في مصر .. وانكمش النشـامي في هـذه المرة .. وبعـد منتصف الليـل بدأ الزفاف والنصة .. ثم عدنا الى حلبة الفرح مرة أخرى .. وبعـد قليـل انسحب أبو شفوع .. وظلللنا وقتاً ثم سمعنا صـياحاً وتخبيطاً عـلى الأبواب فأسرعنا نتلمس السبب .. كان أبو شفوع يريد أن يثبت رجولته فـوراً وبنفسـه .. أما والدة العـروس فـكانت ترى أن ذلك وحشية وأن من الضروري اتخاذ الوسيلة المتبعة في بعض الأوساط البلدية هناك (١) ودارت معـركة كان فيهـا أبو شفوع منفـرداً وسط مجمـوعة كبـيرة من الرجال والنساء .. وانجلت المعركة أخـيراً عن فوز أبو شفوع وخروجه منتصراً مرفوع الرأس وسط الهتاف ، هتـاف صاخب من طلاب البعثـة الذين رأوا في انتصـاره رداً كريماً على الهزيمة التى منوا بها في زواجه الأول .

□■□

(١) تقوم باللازم الوالدة أو احدى القريبات باستعمال اليد.

بابا شارو

كان السيد ولى الدين أسعد مراقب البعثة يعدد لنا فوائد الاذاعة وأثرها في تثقيف الشعب .. وأخذ يذكر أبواب الاذاعة المختلفة حتى قال : (وحديث الأطفال لبابا شارو .. انه حديث قيم فيه ثقافة للأطفال ... واني قد عودت أطفالى على انتظار هذا الحديث ... وأجلس معهم دائماً لسماعه وشرح ما قد يحتاج الى شرح لهم ..) والتقطها اللبيب ..

اذن فالسيد ولى الدين من مستمعى بابا شارو .. ان هذه فرصة طيبة لمداعبة السيد ولى الدين .. أرسل أسعد جمجوم خطاباً بالبريد لبابا شارو قال فيه بعد أن انتحل لنفسه اسماً مناسباً (ان ابنى ولى الدين أسعد كثير الشقاوة في البيت .. ويضرب اخوته .. ويعمل كذا وكذا) .

وجلسنا يوم اذاعة حديث الأطفال الى الراديو وكنا نتخيل السيد ولى الدين جالساً الى الراديو أيضاً مع أبنائه يستمتعون بهذه الثقافة الطيبة .

وجاء دور الرسائل الموجهة الى بابا شارو من أهالى الأطفال .. وانطلق بابا شارو يقول : (خلاص أنا مخاصمك يا ولى الدين أسعد .. مش عيب بابا يشتكى

منك وتعمل شقاوة في البيت وتضرب اخوانك الخ ..) .

وفي تلك الليـلة جاء السـيد ولى الدين الى البعثـة لانجاز البريد .. ودخلنا عليـه نعـرض مشاكلنا فكان كلما سلم عليه أحد نظر اليه من تحت لتحت وكأنه يقول (هل أنت الذى عملت العملة) .

ومن المؤكد أن السيد ولى الدين انقطع بعد ذلك عن سماع بابا شارو وفوتنا على أطفاله الاستمتاع بثقافـة أحاديث الأطفال .



مقامات الساسى

أخونا طاهر الساسى كان ذا مزاج عجيب .. يكتب يومياً خطاباً لوالده يشرح فيه دقائق ما يحدث في البعثة .. (اليوم كان الأكل دجاجاً ولكن الطباخ لم ينظفه جيداً .. واليوم تضارب فلان مع فلان بسبب كذا .. واليوم تخاصمت مع فلان ولم أتصالح معه الى غير ذلك) .. وقد تضارب مرة مع رشيد رضوان مضاربة حامية الوطيس وطبعاً فتك به رشيد حتى سال دم الساسى .. وبعد أن تدخل الموفقون بينهما وقبل أن يصلح الساسى من هندامه وشكله أخذ ورقة وقلماً وكتب لوالده :

(والدى العزيز : أكتب اليك والدماء تسيل على وجهى .. ثم أخذ يصف المعركة وصفاً دقيقاً ويسمى رشيداً في كتابه تسميات تدخل في باب المملكة الحيوانية ...) .

واشتد الشتاء في البعثة وكانت أحوالنا مفلسة فأخذ هو والرويحي ـ رحمه الله ـ بطانيات البعثة وعملا منها سترات طويلة (بالطو) .. وكانت مفاجأة للسيد ولى الدين ..

وكان الشيخ الساسى عضواً في مجلس المعارف وممن يعطف على أحوال البعثة .. كيف لا ولديه سجل يومي عن حوادثها .



وذهب بعض الزملاء في الاجازة الصيفيــة الى مــكة وطبعاً قابلوا الشيخ .. وكانت هناك اشاعة أن ميزانية البعثة تبحث وأن هناك زيادة في مرتبات الطلاب.. فسأل الزملاء الشيخ عن حقيقة زيادة المرتبات ولكنه أجابهم وهو يضحك ضحكته المعروفة : (ما كان على ما كان) وهكذا ذهبت ـ مثلا ـ يذكر كلما جاءت ذكرى الشــيخ الساسي بين الطلاب .

وأخيراً تزوج أخونا الساسي وكنتأنا واسطة الزواج فقد تزوج من بعض جيراني وما أن تمت مراسم الزواج حتى كشرت حماة الساسي عن أنيابها ودخل في مشاكل عجزنا عن حلها ..

واتهمني الزملاء بأن زواج الساسي كان مقلباً مدبراً مني وأقسمت بعــدها ألا أرتكب جــريمة تزويج أحــد وللساسي في زواجه نوادر لا يتسع المقام لذكرها ؛ وقد تذكر هذه النوادر في المجالس الخاصة .



بط الشيخ عمر رفيع

هذا الحادث يعتبر من أهم الحوادث في البعثة ..وكانت العصابة تحتفل كل عام بذكراه وتسمى يوم الذكرى (يوم البط) وفي احدى المناسبات ألقى أسعد جمجوم قصيدة مطلعها :

يا يوم البط نمجّده ميدان الجيزة موعده

كان الشيخ عمر رفيع يربى في دار البعثة خمس بطات ويعدها لحفلة غداء للمرحوم السيد صالح شطا الذى كان يستشفى في مصر .

هذه معلوماتنا ولكن للحقيقة والتاريخ نذكر أن الشيخ عمر رفيع ينفي أن البط له . ويؤكد أن البط للمرحوم محمد سالم . وكان شكل البط وهو يتهادى في فناء البعثة مغرياً ومسيلا للعاب أعضاء العصابة ... وفي احدى ليالى الجمع تقرر اختطاف البط .. ولا أنكر أنى كنت من مدبرى الخطة .

ولكن للحقيقة والتاريخ مرة أخرى أذكر أنى كنت منهمكاً في مذاكرة التشريح استعداداً للاختبار ولكنى كنت مطلعاً على تفاصيل العملية أولا فأولا وللأسف لم أذق لحم البط .. حمل أعضاء العصابة البط وأخرجوه من الباب الخلفي للبعثة وشاهدهم مكوجي البعثة ولكنهم



هددوه بالتسبب في فصله من البعثة اذا أذاع الخبر

وكان منظر أفندية يحملون البط على كوبرى عباس والبط يصبيح منظراً غريباً أصلحه رشيد رضوان والمرحوم الرويحي بأن قالا لرفاقهم بصوت عال مسموع: (الله يلعن كلية الطب ، حتى البط يكلفوننا بتشريحه) .

ووصل الزملاء الى مطعم في الجيزة واتفقوا مع الطباخ على طهيه وعمل عشاء لهم .. وكان في المطعم مصادفة البغدادي ومحمود حجازي وأحمد المبارك من طلاب البعثة .. فطلب منهم أسعد جمجوم أن يشاركوهم في الغنيمة لئلا يفضحوهم على شرط ألا يعترفوا في التحقيق .

أما المبارك فوعد بعدم افشاء السر ولكنه اعتذر عن الاشتراك لأنه يخشى أن يحلفه السيد ولى الدين اليمين فلا يستطيع النكران ان أكل معهم .. أما الباقون فقد وقعوا جميعاً على محضر أعده أسعد قالوا فيه : (نعترف أننا سرقنا البط واشتركنا جميعاً في أكله) وأعتقد أن أسعد لا يزال يحتفظ بهذا المحضر ..

واكتشف الشيخ عمر الحادث في نفس الليلة ولكن أسعد كان ملازماً له ولم يغب الا في فترات الاختطاف والأكل ولم يلاحظ الشيخ عمر هذا التغيب..وأنا كنت أذاكر في غرفتى ، ولذلك وجدنا من السهل الصاق التهمة

بعلوى جفري وسعيد آدم وحسن فقيها وكانوا يشتركون في عشاء في البعثة مكون من الكبد والكلاوي وكان حسن فقيها يشرف في المطبخ على اعداد العشاء .. فاعتقد الشيخ عمر بايعاز منا أن هذه كبد وكلاوي البط المخطوف . ولكن الجماعة حلفوا له الأيمان المغلظة .. فزال الشك منه قليلا حتى تأكد في اليوم التالى من الحقيقة .. ولكن المسألة مرت بسلام ..

□ ■ □

يوم البلاد السعودية

أقامت كلية الآداب بالقـاهرة سلسلة من الأيام عن البلدان العربية ، فيوم للعراق ويوم لسوريا الخ ..

وكان طلاب كل بلد عربي يظهرون في يومهم ألواناً من النشاط الاجتماعي والمسـامرات في بلادهم ، وكان اليوم عبارة عن مهرجان عظيم للدعاية .

وجاءنا زملاؤنا في كلية الآداب يطلبون منا اعـداد برنامج لاقامة يوم للبـلاد العربيـة السـعودية وبدأنا نعـد البرنامج ونعمل بروفات في دار البعثـة .. وكان سـعادة الشـيخ عبد الرؤوف الصـبان رئيسـاً لمجلس المعارف ومقيماً وقتئذ في مصر .. فأطلعناه على البرنامج .. فحذف منه لعبة المزمار التى كنا نتدرب عليها يومياً ويحرص النشـامي على وجودها في البرنامج وأقـره في ذلك الشيخ أحمد باغفار الذى كان في مصر ، وبالطبع كان السيد ولى الدين من المؤيدين لهما .

وجاء يوم المهرجان وغصت قاعة المحاضرات الكبرى في كلية الآداب بالمدعوين والأساتذة والطلاب .. ووزع برنامج الحفل وكان من بين مواده (لعبة العمال) .. وبدأ تقديم البرنامج .. قدم محمد منصوري مع مجموعة

الحجاج بملابس الاحرام وهم يلبون ، وكان منظراً مؤثراً .. وقدم رشيد رضوان مع مجموعة أخرى أغاني البدو وهم في العباءات البدوية وكانوا بالطبع يؤلفون كلاماً من رؤوسهم لا يمت للغة البدو بشيء ؛ ولكن أحد أساتذة اللغة العربية في الكلية أسرع نحوهم وفي يده ورقة وقلم ليلتقط هذه اللهجات البدوية من منابعها الأصلية .. وقدمنا ألواناً أخرى من البرنامج كانت جميعها محل الاعجاب وكان يومنا أحسن الأيام ..

ثم جاء دور لعبة العمال .. ودخلنا الصالة في الزي الحاروي يتقدمنا بادكوك وعليه عمامة العمد التقليدية وعلى كتفه ما تيسر من المصانف والبقش ، ونحن ننشد خلفه : (يا شيخنا حنا قليله لكننا سم العدا) .. وانتصب الشيخ أحمد باغفار واقفاً ــ وهو ابن خال البادكوك ــ وقال : (عملوها الفروخ) ..

ووضعت النار في وسط الصالة وبدأت لعبة المزمار التى أخفيناها تحت اسم (لعبة العمال) وسر لها الحاضرون جميعاً وفي مقدمتهم الشيخ عبد الرؤوف وكان عمدتنا يتقبل عبارات التحية والاعجاب ..

ثم ألقى الشيخ عبد الرؤوف كلمة شَكَر فيها الحاضرين.. كما ارتجل الأستاذ فؤاد شاكر أبياتاً أولها :

باسم الحجاز وباسم الشعر والأدب
هتفت بالشعر في كلية الأدب

تجارب المطر الصناعي

كانت هذه التجارب لا تنقطع في دار البعثة ، وكانت جرادل المـاء وهي تصب من شـاهق على الطلاب أو على زوار دار البعثة الأفاضل شيئاً عادياً في حياة البعثة .. وكانت ادارة البعثة تعجز عن ضبطنا متلبسـين بهـذه التجارب لأن المراقبين كانوا متأكدين أن أي واحد منهم يطل برأسـه ويبحث عن الذين يلقون جـرادل الماء سيكون نصيبه واحداً من هذه الجرادل دون شك . كان الأستاذ ابراهيم الفلالى مراقباً في البعثـة وكان شـديداً لقى منه الطلاب كثيراً من خصم الرواتب .. وكان يومها جالساً في الشرفة قبيل المغرب ينتظر مدفع الافطـار في رمضان .. واذا بجردل من قمر الدين المثلج يصبه عليه أمين جاوه من الطابق العلوي .. هب الرجل واقفاً وهو يصيح ويشتم ويدعو وبالطبع لم يعرف غريمه ،

ولعله يعرفه الآن.وكان عبد القـادر جان أكثر خوفاً من جرادل المـاء .. كنا نتسـحر في رمضـان ونجـرى لننتظره بعد السحور بجرادل الماء فكان يتأخر في غرفة الطعـام ويصـلى الصـبح وتطلع الشمس وهو يصيح : (يا ناس حـرام عليكم أريد أن أنام) ومع ذلك فـكان يتلقى وجبته اليومية من جرادل الماء ..



وجاء السيد ابراهيم النوري يفتش على البعثة .. ولم تعجبه أعمال الطلاب وتصرفاتهم فقال للشيخ عمر رفيع مدير البعثة المساعد : (لا بد من استعمال الحزم مع الطلاب) فشرح له الشيخ عمر المصاعب التى يتلقاها مع الطلاب وشقاوتهم .. ومع ذلك فقد كان السيد ابراهيم يصر على أن استعمال الحزم كفيل بوضع الأمور في نصابها ..

وخرج يومها السيد ابراهيم من دار البعثة والشيخ عمر يودعه على الباب وكان الطلاب يمزحون بالماء فأصاب « السيد ابراهيم » جردل خاطيء من الجرادل فعاد الى البعثة ليجفف ملابسه والشيخ عمر يقول له شامتاً : (هيا يا سيدى ورينا الحزم) .

□■□

قائد الملحق

أخونا أحمد المبارك من الشخصيات الظريفة .. وقد سبقنا في الابتعاث ووجدناه في مصر .. فوجدنا فيه أخاً أديباً ، كريم الخلق خطيباً على طريقة (كيفما اتفق) ..

فهو لا يعد الكلمة التى سيلقيها ، بل عندما تطلب منه الكلمة يقف ويلقى كلاماً كيفما اتفق .. وكان يتحلى بالأناة وخاصة في الامتحانات فهو لا يرى من الضروري التعجل في انهاء السنوات الدراسية ، فالسنة الدراسية كما وصفها رواد الثقافة تنتهي في بضعة شهور ، ولكن الأستاذ المبارك يرى في ذلك ارهاقاً للطالب الذى يجب أن يتروى في التحصيل سنة وسنتين وثلاثاً حتى يهضم هذه المعلومات المكدسة ويستوعبها .. فاذا جاء اختبار الدور الأول ذهب الأستاذ المبارك بنفس راضية مطمئنة ، وخرج منه وهو واثق من عدم النجاح، وأخذ يتلقى التهاني من زملائه ، كما أخذ يستقبل زملاء الملحق ويتصدى لزعامتهم وينظم معهم برامج المقالب والفسح في الصيف ، غير أن الأستاذ المبارك فوجيء مرة مفاجأة لم تكن في الحسبان خرج من امتحان الدور الأول وهو سعيد للنتيجة المرتقبة وهي بالطبع عدم النجاح ..

وأخذ يعد نفسه للدور العظيم الذى ينتظره في الصيف ودخل زميله في كلية اللغة العربية السيد محسن باروم يخبره أن النتيجة قد ظهرت وأن المبارك بين الناجحين .. فضحك المبارك وضحكنا وقلنا للباروم : (العب غيرها .. قديمة) ولكن الباروم كان جاداً وأخذ يحلف أن المبارك قد نجح .. حينذاك وجم المبارك ولكن لم يكن مصدقاً ، وقام ليذهب الى الكلية ويتأكد بنفسه ، وذهبنا معه خوفاً عليه من أن يصدم بالحقيقة ودخلنا على سكرتير الكلية نسأله فاطلع على الأوراق . وقال : نعم هو ناجح. ولكن المبارك قاطعه صائحاً : (يا أستاذ تأكد ربما أن رقم جلوسى مغلوط) وتأكد السكرتير .. وخرج المبارك وهو مطأطيء الرأس قائلا : (انا لله وانا اليه راجعون) ونحن نواسيه ونعزيه والسكرتير في عجب لهذا المنظر الغريب .. وكانت ليلة في دار البعثة لم يبتسم فيها المبارك ووفود الطلاب تدخل عليه للتسرية والترويح عنه ورفع معنوياته بعد أن فقد الزعامة التى حافظ عليها بجدارة سنوات طويلة ..وبعد أيام اضطر المبارك مرغماً أن يعود لقضاء عطلة الصيف في الاحساء بين أهله؛ وكان الطريق اليها لا يزال بالسيارات من جدة فالرياض .

□■□


إنّا لله ..
وإنّا اليه
راجعون ..
ناجح

رسائل الأشواق

كانت هذه الرسائل من وسائل التسلية عندنا في البعثة كنا نختار زميلا متأنقاً أو معجباً بنفسه فنبعث اليه برسالة مزورة بخط رفيع وعلى ورق أزرق أو وردي ومضمخة بما تيسر من العطر ، وتشيد الرسالة بالمرسل اليه ويتراءى الاعجاب بين سطورها ، ثم تنتهى الرسالة بتحديد موعد .. وقد أرسلنا كثيراً من هذه الرسائل وسوف أذكر منها ما وعته الذاكرة .

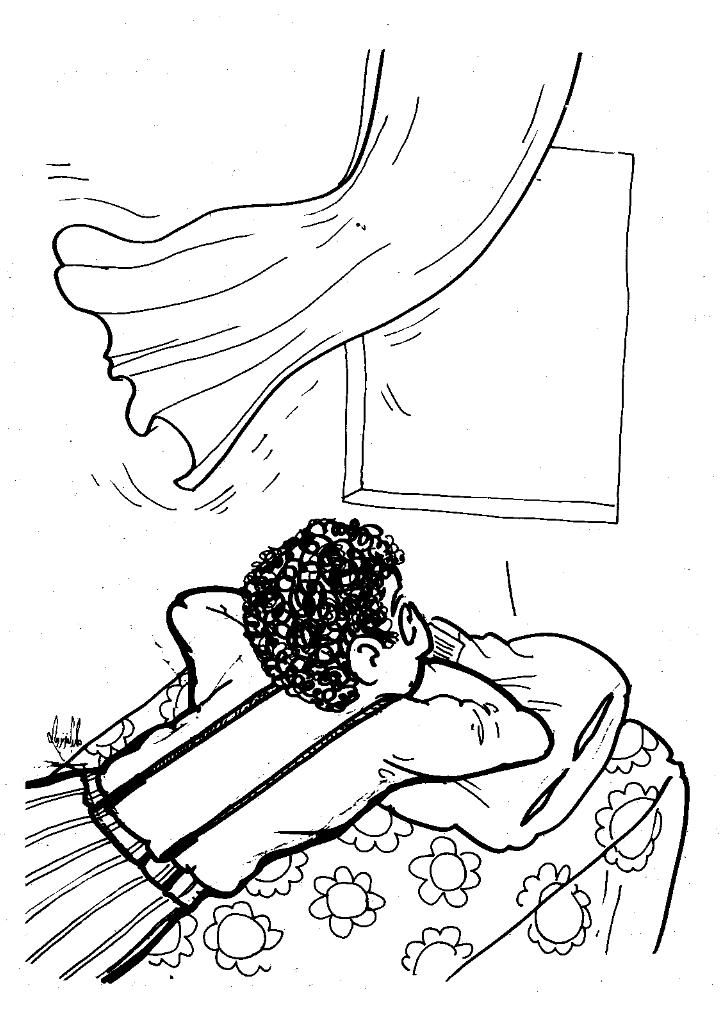
كانت أولى الرسائل لحسن فقيها .. وكان يخرج يومياً مع زملائه للفسحة على كوبرى قصر النيل واستنشاق هواء البحر الأبيض المتوسط (حسب نصيحة السيد ولى الدين) . وفي اليوم الذى تلقى فيه الرسالة اعتذر عن عدم الخروج ، ولما ألح عليه بعض الزملاء الذين كانوا يعرفون قصة الرسالة اعتذر بالتعب وأن عنده مذاكرة ، فخرج الزملاء وتركوه وذهبوا الى المكان الذى حددته الرسالة ينتظرونه وما ان حل الموعد السعيد حتى أقبل أخونا حسن في حلة أنيقة وقد وضع وردة حمراء في سترته ووقف ينتظر ويتلفت يميناً وشمالا لعله يجد صاحب الوعد الذى ذكر الملابس التى سيرتديها .. وأخيراً ظهر له زملاؤه وأعادوه الى دار البعثة وسط

زفة وهتاف .. ومن الرسائل اللطيفة رسالتان وجهنا احداهما لمعتوق باحجرى والأخرى لعمر عقيل وكان الموعد في الرسالتين في ساعة واحدة في الحديقة اليابانية بحلوان .. وشاهدت محطة باب اللوق منظراً طريفاً .. وصل الزميلان ليستقلا القطار الى حلوان .. ورأى كل منهما الآخر وتجاهله ولما ركبا القطار أخذ كل منهما يختفى عن الآخر .. وكذلك فعلا في الحديقة اليابانية .. ولما طال الانتظار ويئسا عادا واستقلا القطار وحينئذ لم يجدا داعياً للاختفاء وجلسا متجاورين وكل منهما يخفى الفشل الذى لقيه ولسان حال كل منهما يقول (وتبدلت غزلانها ..)

ورسالة طريفة ثالثة تلقاها مراد أبو السعود والموعد بجانب قفص الأسود في حديقة الحيوانات .. وذهب مراد وانتظر دون طائل ثم ظهر له خضر حجار ضاحكاً مازحاً كعادته مع مراد ، ولكن مراد ظن أن خضر هو مدبر المقلب وأنه حضر ليرى النتيجة واشتبك الاثنان في صراع فضه حراس الحديقة .

ورسالة رابعة للشريف صادق رفيق وضعت على سرير نومه وداخلها حلوى وكانت الرسالة كأنها ألقيت من نافذة البيت المجاور .. وأخفى صادق الرسالة والحلوى ، ثم جلس ينتظر أياماً لعل الحلوى أو الرسائل تتكرر وفي سبيل ذلك ترك نافذة غرفته مفتوحة باستمرار

وكانت تلك هي الخطوة التى تنتظرها العصابة .. فقد تسلل أفرادها من النافذة وسطوا على المأكولات التى في الغرفة .



الضبط والربط

هذه الحلقة مهداة الى طلاب البعثات العسكرية بمصر .. انهم يطالعون فيها سطوراً من حياة التلمذة لمديرهم السيد منصور عارف .. جاء من المدينة لأول مرة ليلتحق بمدرسة تحضير البعثات في مكة .. وأقام مدة في جدة ينتظر الفرج من الأستاذ عمر نصيف ليسافر الى مكة ، وقد تعرف في جدة بالمرحوم محمد عثمان رضوان، وكان هو وابنه محمد وداد رضوان مثال الظرف والأناقة، وقال الشيخ عثمان يوماً لمنصور : (ان ابن أخي رشيد رضوان سيكون من زملائك في المدرسة وسوف يسرني أن تكون وصياً عليه) وأخذ منصور يمنى النفس بمعرفة رشيد ظناً منه أن يكون مثل عمه وابن عمه . وكان منصور يتمشى يوماً في باب جديد اذ برز له شخص فجأة وقال له : (مساء الخير يا منصور ، أنا رشيد رضوان) ودارت الدنيا بمنصور وتبددت أحلامه أدراج الرياح .. وعندما سافرنا الى مصر استقبلنا السيد ولى الدين أسعد والأستاذ عبده العسكري نائب القنصل السعودي في السويس .. وهنا تجلت الروح العسكرية العربية في منصور ، فانه لم يكن يطلق على عبده العسكري الا عبده الجندي ، وظل كذلك مدة طويلة وربما الى يومنا هذا والتحق منصور بكلية الآداب الا أن الروح العسكرية

ردته الى وجهته الطبيعية ، فالتحق بالكلية الحربية مع السيد علي زين العابدين . وكانا لا يأتيان الى دار البعثة الا يومي الخميس والجمعة وعيونهما دامعة حمراء. كانا يلقيان عناء شديداً في الكلية وكان زملاؤهما المتقدمون عليهما في المدرسة وأساتذتهما شديدين معهما شدة متناهية حتى بدون مبرر .. فاذا تخاصم أحدهما مع زميل أعلى رتبة انتهز هذا الأخير الفرصة وحكم عليه بحبس (خميس وجمعة) أو (بطابور زيادة) أو طلب منه التشعلق على الدولاب لمدة ساعة .. ولكن ما يكاد طلاب الكلية يخرجون في يوم الخميس والجمعة حتى تراهم بملابسهم الأنيقة وعصيهم السوداء مرابطين أمام الأمريكين في شارع فؤاد في طابور محبب الى نفوسهم ينسيهم هَمّ طوابير الأسبوع .



توحيد المشارب

كنا في أيام البعثة الأولى ذوى مشارب موحدة .. نتفسح في مجاميع كبيرة ونشاهد في الأسواق معاً .. وكانت ميولنا واحدة .. اكتشف أحدنا ـ ولا أذكر من هو ـ مقهى تباع فيها القهوة (أم اللوز) .. فكنت تجدنا دائماً هناك رائحين غادين في مجموعات .. وأطلقنا على هذه القهوة من باب الاختصار (أم لوزة) وكان يطيب لنا الجلوس هناك .. وكان صاحب المقهى (عباس أفندي) رجلا لطيفاً حلو النكتة .. فكان يطيب لنا الجلوس معه وقضاء أطيب الأوقات .. وتوطدت أواصر الصداقة بينه وبين البادكوك .

وكان لأسعد جمجوم شلته المكونة في الغالب منى ومن البادكوك وعبد الله شرف ، وكانت لأسعد سيارة سكودا، وكنا نتقاسم قيمة البنزين ونخرج بها الى الضواحي للنزهة .. وكان في (طبلون) السيارة مفكرة يكتب فيها أسعد احصاءاً يومياً عن نزهاتنا .. ولعله يحتفظ بهذه المفكرة فيقدمها للصديق السيد سامي كتبي ، خدمة لفن الاحصاء .. ثم اكتشف واحد من الزملاء محل ليلاس في روض الفرج فكنت تجد الزملاء يشغلون ترام ٣٠ كل خميس لقضاء السهرة في ليلاس ، وكنت تجد عمر عقيل في الصفوف الأولى ، وفي ليلاس نظم

بادكوك قصيدته المشهورة :

متع عيـــونك في اللحـــاظ الدّبل
واحذر ولا تقـــرب لئـــلا تبتلى

ويقـــول :

واذا رغبت أبا المليـــج وفنـــــه
فـــاركب ثلاثينـــــا ولا تتمهل
وانزل بآخـــر موقف لترامهـــم
واسـأل عـلى ليـــلاس أين وأقبل
واجلس على الـكرسى منجعصاً ولا
تضع الجاكتـة خلف ظهرك تنشــل
واقعد كما قعد (العقيل) مفرفشاً
واقـدم اذا حـق اللقـــا في الأول

ويقـــول :

وانده على الجرسون واطلب شـاهياً
أو قهــوة وقــل التسال يا أبو على
وانس الهمــوم ولا تفـكر ســاعة
في الوقت أو في عمك (السيد ولى)
واذا بليت بخصـــم شـــهر واحـــد
فاصـبر لحــكم الله فهـــو المبتلى

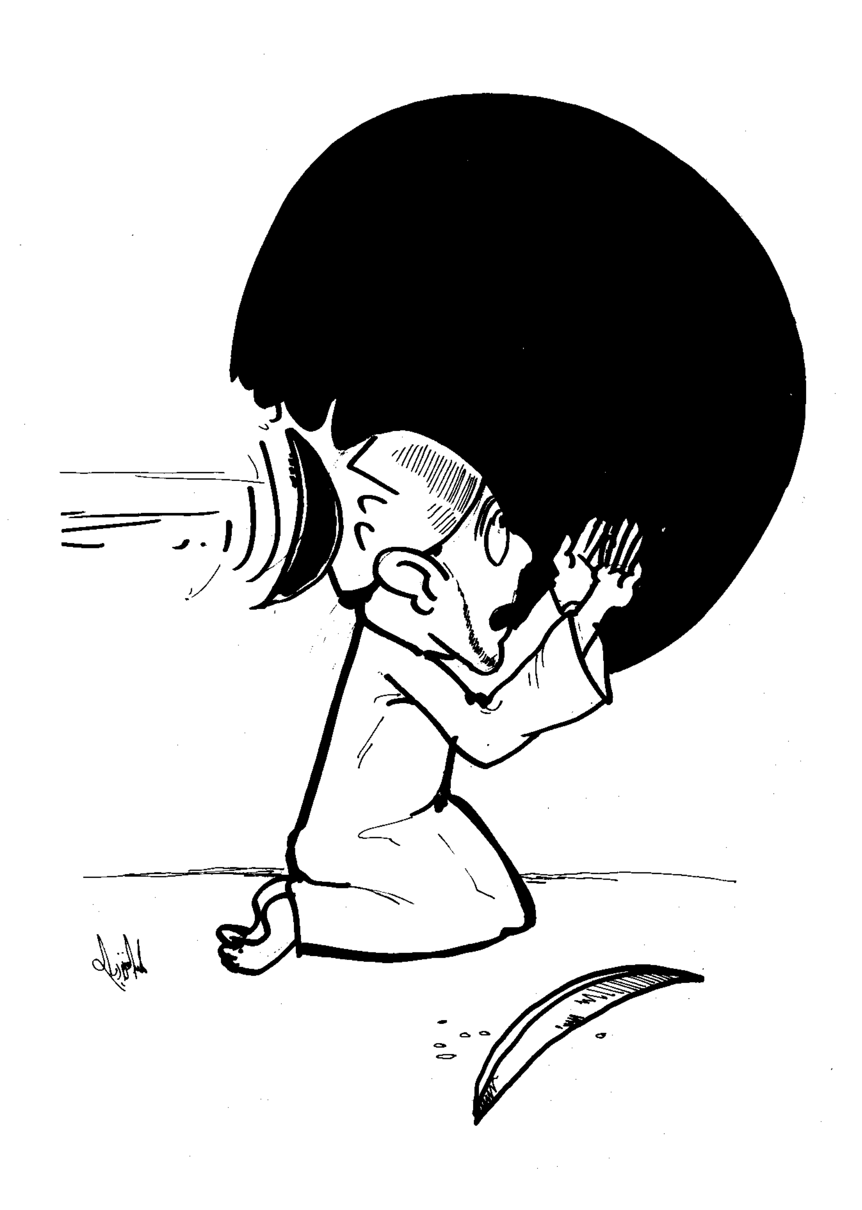
وكان ابراهيم الوسية موظفاً في البعثة ومشرفاً على رشيد رضوان بصفة خاصة ، لأنه قريبه ونصحه بعدم ارتياد أحد المحلات .. ولكن رشيد ذهب يوماً خفية الى ذلك المحل فوجد الوسية في الصف الأول .. فناداه قائلا : (مساء الخير يا سى السيد ماذا أتى بك الى هنا ؟) فانزعج الوسية وقال : (أنا جئت مخصوص لمراقبتك) ثم انتهت رقابته على رشيد الى الأبد .

وكان من الزملاء من له طابع خاص في الفسح ، فمثلا : كنت تجد عبد العزيز الربيع دائماً في الأمريكين ، وحوله مجموعة من الطلاب وكنت تجد علي غسال مع مجموعة من الزملاء في حنطور مكشوف في شارع فؤاد وهم يغنون بصوت عال (صهبة) ويصفقون وكأنهم أولاد حارة يتمشون في حوارى النقا

□■□

ظهور الأشـباح

كانت الأشباح تراود دار البعثة بمصر باستمرار .. كانت الأنوار تقطع فجأة عن دار البعثة ، ويسود الظلام ثم تتحرك الأشباح قاصدة وجهات معينة وتتخير زبائنها بين طلاب البعثـة الخـوافين .. كان بادكـوك وأحمـد جمجوم يدعون ويصلون في ليلة النصف من شهر شعبان، واذا بالأنوار تطفأ وتتحرك الأشـباح لتمطرهم بوابل من قشر البطيخ ، وكلما اشتدت الحمـلة عليهم ضاعفوا من دعواتهم وتوسلاتهم .. وكان عبد اللطيف جمجـوم نائماً في فراشه فاستيقظ فجأة ليجد نفسه في ظلام دامس وقد غرق هو وفراشـه تحت وابل من قشـور البطيـخ والشمام وبذورهما ، فجلس في فراشه يتلو آية الكرسى وما تيسر من التعاويذ والأدعية .. ثم اختارت الأشباح رشيد سنبل وهو نائم وداعبته بعود طويل تغمزه به في أماكن معينة من جسمه ، وهو يغطى نفسـه باللحـاف ويرتعـد مع كل غمـزة ويقـرأ التعاويذ والأدعية .. وأبو العينين يسـتيقظ مذعوراً ليجد الأشـباح تنشـد نشيداً خاصاً فوق رأسه ، ثم تضاء الأنوار فجأة ليجـد أحد الأشباح عارياً فيطلق صيحة فزع ثم ينطلق وراء الأشباح التى تهرب ، ويكاد واحد منها أن تنزلق قدمه وهو يقفز من شرفة الى شرفة فيسقط في الشارع لولا أن الله سلم .. وقد أرسل عبد اللطيف جمجوم كتـاباً لابن



عمه أسعد يتبرأ فيه منه لأنه لا يرد الأشباح عنه ، فما كان من أسعد بعد أن اكتشف خطأ نحوياً في الرسالة ، الا أن يؤشر عليها بالأحمر ثم يعيدها الى ابن عمه وعليها (تسعة من عشرة) .. أما البادكوك فما يكاد يعرف عن ظهور الأشباح حتى يلجأ الى غرفة الأستاذ عمر رفيع مدير البعثة المساعد ، ويطلب منه أن (يسرّيه) الى غرفته فيصعد معه الشيخ عمر ثم يمر علينا في غرفنا ونحن نتظاهر بالنوم فيشاهدنا ويتسمع الى ضربات قلوبنا والى تنفسنا ، ثم يعود دون نتيجة .. وكان السادة حمزة المرزوقي ومحمد شطا وياسين طه يفتشون في تلك الأيام على البعثات ، ولاحظوا ضيق الدار وأخذوا يبحثون عن دار أخرى لنا .. وتوالت عليهم الشكاوى تطلب التعجيل في ايجاد الدار ــ خاصة بعد ظهور الأشباح .. ثم تقدم الطلاب الى مدير البعثة بعريضة وقعوها جميعاً عدا حامد هرساني وعبد الله بغدادي اللذين تشاءما مما فيها .. وكانت العريضة تطلب بناء مقبرة (قرافة) لطلاب البعثة بعد أن مات واحد منهم ودفنوه في المقابر العامة .. وأخذ السيد ولي الدين يضرب كفاً بكف وهو يقدم العريضة لحضرات المفتشين ويقول : (اتفرجوا ياسيدى احنا ما وجدنا لهم دار للسكنى وهم الآن يطلبون قرافة لهم) .. ورأى أحد المفتشين أن السلامة تقضى بترك هؤلاء الطلاب وشأنهم بعد أن أعيتهم الحيل في ارضائهم .

منظر في شيكوريل

كان محمد فدا ، على عــلاقة طيبة بالعصابة وان لم يكن عضواً فيهــا ولكن العصابة كانت تخشى لسانه وما اشتهر به من ألفاظ كانت غريبــة في ذلك الوقت عــلى أسماع الطلاب ، وان كانوا قد استحسنوها وتداولوها فيما بعد .. ومن النكت التى تداولوها في ذلك الوقت ، أننا كنا نتخيل الفدا ، وقد أصبح رئيس محكمة وقــد جلس ينظر في قضية وعن يمينه البابصيل وعن يســاره المنيعي ثم يتــداول رئيس المحكمــة مع عضوي الميمنــة والميسرة قبل اصدار الحكم كما هو مشاهد في الروايات المصرية ، فكنا نتخيل الفدا يسأل العضوين عن المتهــم بعد المرافعة (ايه رأيكم في ابن كذا وكذا) وكان الفدا ذواقة للطعام يجيد الطهي ويتفنن فيه .. كما كان أنيق الملبس .. وكان اجتماعياً في حفلات البعثة ورحلاتهــا وخطيباً وشاعراً .. وكان بينه وبين مسجل كلية الشريعة (اتفاق الجنتلمان) يأخــذ المسجل في نهــاية كل شــهر الجراية المقررة لمحمد فدا من الكلية نظير التســتر على غيابه من الكلية طيلة أيام الشهر (وأرجو أن يعــذرني الصديق في اذاعة هذا السر بين طلابه الذين يحاســبهم حساباً دقيقاً على الحضور في أوقات الدوام) .



وقد أخبرني علي الشاعر ـ والعهدة على الراوي وهو صادق الرواية ـ أنه ذهب مرة مع الفـدا لشراء فلائن صوف من شيكوريل ، وعندما ذهبا لدفع الفلوس وقفا في الطابورْ ووجدا عاملة الكيس تجيد عدة لغات ، فقال علي الشاعر للفدا : سوف أظهر لك عجزها في اللغات .. ولما وصل الشاعر الى العاملة كلمهـا بلغـة شـبيهة بالتكروني فلم تفهم وهو يتكلم بصوت عال وبحـركات من يده وبسرعة كالماكينة فتفرست العاملة في وجهه وهو أسمر وله مشالى فنادت أحد البرابرة الذين يعملون فى المحل بعد أن ظنت أن الشاعر بربري ولكن التفاهم كان صـعباً لأن الشـاعر كان يؤلف الـكلام الذى يقوله من رأسه .. وأخيراً هزت الشـهامة محمـد فـدا فتطـوع بالترجمة قائلا : انه من الحجاز ومتعود على مثل هـذه اللهجات .. ودفع الشاعر الفلوس ثم وقف يصلح ربطة عنقه أمام المرآة والطابور معطـل والنـاس متضجرون فصاحوا يطلبون خروجه..فالتفت اليهم وقال بالعربية: (حاضر والسـلام عليكم) ثم ولى هارباً . وهنا التفت موظفو المحل والزبائن الى الفدا وقالوا له : (يا نصابين عاملين نمرة وعطلتمونا) فأقسم لهم الفدا أنه لا يعرفه ولم يشاهده الا في شيكوريل .. ولكن لم يقتنـع أحـد وخرج الفدا مشـيعاً بالسخط وهو يلعن السـاعة التى تعرف فيها بعلي الشاعر .

في الأقصر وأسوان

جاءت اجازة السنة الدراسية في أحد الأعوام في فصل الشتاء وهو الوقت المناسب لزيارة الأقصر وأسوان وفيهما من آثار الفراعنة الشيء المدهش الذى يقصده الناس من أطراف الدنيا فكرنا في القيام برحلة خاصة الى هناك : الأخوان علوى جفرى وعبد اللطيف جمجوم وكاتب السطور هذه وأحضرنا أوراقاً من الكلية أن عندنا رحلة رسمية وأن التكاليف للشخص خمسة جنيهات ، وكانت هذه الأوراق (مفبركة) حسب المعتاد .. وذهبنا لنأخذ تذاكر بالقطار .. والنظام فيالاجازات خصم نصف قيمة التذكرة ، فيأخذ الراكبتذكر للذهاب ولكن يسمح له باستعمال نفس التذكرة في الاياب .. وفكرنا أن نأخذ تذاكر للأقصر فقط ثم نفكر في الوسيلة التى نركب بها من الأقصر الى أسوان وكنا نجهل بعد المسافة وأنه لا توجد مواصلات منتظمة الا بالقطار وقلنا: اذا لمنجد الا القطار فيمكننا أخذ تذاكر مخفضة من الأقصر الى أسوان دون أن يكون هناكفرق..ووصلنا الى الأقصر .. وكانت الجيوب لا تزال عامرة فلم يعجبنا الا فندق (سافوي) الأرستقراطي .. وقدموا لنا العشاء الفاخر والعادة تقديم (زبادي) بها ماء مع الفاكهة لغسلها وغسل الأيدي ولكننا ظننا الماء نوعاً من الحلوى



وبدأنا نشرب بالملاعق والناس والسفرجية يضحكون .. وفي اليوم التالى استأجرنا حميراً لزيارة الآثار ، وكان حمار علوى قصيراً فأصبحت رجله تحك الأرض.. وأخذنا نداعب حماره بلغته الخاصة فأوقعه الحمار على الأرض .. ولما أردنا السفر من الأقصر الى أسوان ، علمنا أن التذاكر هنا كاملة وليست مخفضة وشربنا المقلب .. واهتزت جيوبنا المتواضعة لهذا الحادث الجلل وقررنا أن نتخذ لنا شعاراً لباقي الرحلة وهو (حاسب) . فما يكاد أحدنا يحاول شراء شيء زائد أو يريد الفنجرة حتى ينطلق صوتان في وقت واحد : (حاسب) . وفي أسوان لم نجد مكاناً في الفنادق الا في (جراند) و (كتراكت) ولم تكن النقود التى معنا تكفى لليلة واحدة في أحد ذينك الفندقين وأخذنا نستعطف أصحاب الفنادق دون جدوى وأخيراً لجأنا الى مدير أسوان وكان يشهد مباراة رياضية فأرسل الرجل معنا من يوصى أصحاب الفنادق وكان الليل قد أقبل وأخيراً رحمنا صاحب فندق وتعهد باعطائنا طراريح على أن نبيت في دهليز الفندق ففرحنا وشكرنا للرجل مروءته . وقضيتا الليلة في ذلك الدهليز المعتم ، وفي الصباح أدركنا أننا لم نكن وحدنا في الدهليز ، فقد كانت تشاركنا في المبيت فئران كبيرة ، رأيناها تقفز فوقنا وحمدنا الله لأننا لم نشعر بها في الليل فقد كنا في نوم عميق بسبب تعب الرحلة .

البادكوك يحمل السلاح

للزميل البادكوك نوادر لطيفة سأذكر جانباً منها هنا علاوة على ما سبق في هذه المذكرات ، أو أختتمها بقضية حمل السلاح .. على أن الذاكرة قد تسعفنى بمجموعة أخرى في المستقبل .

كان من عادة البادكوك ـ ونحن في مدرسة البعثات بمكة ـ أن يرتدى أفخر ملابسه عصر كل يوم ويقصد الى المسعى لقضاء المساء مع بكر باناجه .. وكان البادكوك عند الحميدية عندما أمسك به شرطي واقتاده الى الحميدية لأن ذقنه محلوقة ، ولم يخرج البادكوك الا بعد أن أسعفه الشيخ العريف بالغرامة وقدرها سبعة ريالات ونصف وكانت مبلغاً جسيماً في ذلك الوقت .. وفي ذلك يقول البادكوك من قصيدة فكاهية طويلة :

سبحان ربك رب العزة الصمد
ماذا أصبت به في ليلة الأحد
حلقت ذقنى وقلت اليوم تمشية
وكنت أحسب أن المنع لم يرد
لبست بدلة هايلايف ومنظرتي
ورحت أمشي الى المسعى على تؤد



وبينمـــــا أنا ماش اذ أتى رجــل
وقال هيـــــا معى في شرطة البلد

كلم عميمى (علياً) في مخالفـــــة
ما قال ذلك الا مت في جســـــدى (١)

ثم يقول :

وقلت للضــابط المشــغول في هلــع
يا ضابط الجند لا تنظر الى أحـــد

فقـــــال اما الى ســـــجن تبيت به
أو حالا ادفع رسوم الدقن وابتعــد

وعنـــد ذاك دفعت إلســبع يتبعهــا
نصف وحالا مضى لى البيه على السند

والبادكوك ينتابه أحياناً ذهول . كان الوقت شــتاء فذهب الى الــكلية في مصر وهــو يلبس سروالا طويلا له دكة تحت البنطلون ، ولــكنه نسى تزرير البنطــلون ، فكان منظراً عجيبــاً في الــكلية والدكة بارزة أمامه من فتحة البنطلون .. ومرة أخرى كنا خارجــين وانتظرنا أحمد شطا ليلبس ، وعند ذلك انفجر البادكوك ضاحكاً ولما سألناه عن السبب قال ان أحمــد يلبس الــكلسون الفنلة مع جعــل فتحتهــا الى الأمام (مــع أن هــذا هو الطبيعي) .. ولــكن ظهر لنــا أن البادكوك حتى ذلك

اليوم كان يظن أن الوضع الطبيعي هو لبس الكلسون مع جعل الفتحة في الخلف لطرد الغازات .

وفي أحد الأيام اضطر البادكوك لحمل السلاح .. تضارب مع البغدادي وكنت وأسعد عزوز نحرش ، وبدأ البغدادي المصارعة بحركة بارعة، فنزع نظارة البادكوك وألقاها جانباً وأصبح البادكوك لا يرى ، وبالطبع تغلب عليه البغدادي ، وكان البادكوك يصيح فينا : (أعطوني النظارة) ويضربنا ويرفسنا . ثم هرب البغدادي وأقفل غرفته خوفاً من انتقام البادكوك .. فقد أخرج مطواة من درجه وجاء يريد كسر باب غرفة البغدادي ، فوقفنا أنا وأسعد نحميه بعد أن تطور الأمر والبادكوك يضربنا بيديه ، والبغدادي يقرأ الشهادتين وما تيسر من القرآن .. وأخيراً هدأ البادكوك وظل البغدادي وقتاً طويلا يخاف من البادكوك .. ويخشى من التمليح .

□■□

---

(١) هو المرحوم علي جميل مدير الأمن العام حينذاك.

مشروعات زواج

كان أسعد جمجوم موفقاً كخاطبة للبعثة .. كان يتمشى مرة على النيل مع صديق ، وخطر له فجأة أن يذهب الى أحد البيوت في الروضة للخطبة .. طرق الباب ودخل قبل الاذن له فوجد رب الدار يصلى المغرب؛ فنوى الصلاة خلفه ، ولم يسع صديقه الذاهل الا أن يتبعه . وسلم الرجل ثم التفت وفوجىء بهذه الجماعة الدخيلة .. وحبك أسعد الدور فقبل يد الرجل واضطر صديقه مرغماً أن يتبعه ، ثم تكلم أسعد ؛ وبلا مقدمات طلب القرب من الرجل لصديقه ، وعقدت الدهشة لسان الصديق ، وخجل أن ينكر أو يتكلم أو يتراجع ، ونظر الرجل الى ملابسهما والى الطريقة التى أتيا بها وردهما رداً كريماً .. وقد أغفلت اسم الصديق ، لأنه متزوج الآن أما أسعد (فمقطوع راس) لا يهمه شيء .

والبادكوك كان يمنى نفسه بزواج قريبة له .. وكان حين يذكرها لا يقول الا (خطيبتى) .. ثم خطبت الخطيبة لزوج آخر وتزوجت وأصبح بادكوك لا يتحدث عن هذا الزواج الا (زوج خطيبتى) ثم رشحنا له بنت مليونير ليتزوجها .. وكانت صورتها تظهر دائماً في الصحف .. ومرة أخرى تزوجت هذه الخطيبة ، وتقبل البادكوك التعازى يوم أن أعلنت الصحف خطبتها .



وألح أسعد على الشيخ عمـــر رفيع في الزواج وتولى الخطبة له ، وأخذ يدور معه من بيت الى بيت ، والشيخ عمر يبدى لأسعد ملاحظات طريفة لا تتسع لها المذكرات .. وأخيراً وفق أســعد لزواج الشـــيخ عمـــر من بيت الجمجوم المقيمين بمصر ، وذهبنا لــكتب الـكتاب وكان الحفل بسيطاً مقتصراً على الشيخ عمر وأسعد والبادكوك وعبد الله شرف وبعض أقارب العروس وأنا .. ورأيت أن أكبر يوم الشـــيخ عمر فأخــذت ورقمة وقلماً لأكتب أبياتاً ، وأعطيتها للبادكوك ليجسها ، ولكن الشيخ عمر اعترض ظناً منه أنها من نوع الشعر الذى ألفـناه نشيداً في البعثة عن الشيخ عمر والشيشة .. ولــكن بادكــوك طمأنه وأخذ يجس هذه الأبيــات ، والمــأذون مبســوط يتمايل يميناً ويساراً وهو يقول : (الله طيب) والبادكوك منسجم وكأنه مغن محترف ويقول :

تمثـــل فرقــــداً وبــدا هـــلالا

وأوفى في ســـما العليـــــا مثالا

أصـــاب من المــــكارم كل خــير

ونال من الفضـــائل واســـتطالا

لتهنّــــك زوجُــــك الفضلى وبيت

من الجمجــــوم قـــــد زان اكتمالا

ومُتّعتَ البنـــــين وعشت دهــــرأ

ودمت منعمـــــاً عُمُراً طــــوالا

وانبسطت أسارير الشيخ عمر ؛ وتم الحفل في سلام .

□■□

الزيارة المزعومة

كان جميل مردم بك سفيراً لسوريا بالقاهرة . وأعلنت الصحف أنه عين سفيراً لدى المملكة السعودية اضافة الى سفارته في القاهرة ، وأنه يستعد للسفر الى المملكة لتقديم أوراق اعتماده .. وكنا ذات ليلة نتمشى أنا وأسعد جمجوم والكعكي ، واتفقنا على أن يكلم أسعد البعثة في التليفون في صباح اليوم التالى ويخبرهم أنه موظف بالسفارة السورية ، وأن جميل بك سيزور البعثة في العصر بمناسبة سفره الى المملكة .. واهتزت البعثة للنبأ ، وأخذ الشيخ عمر رفيع في الاستعداد .. كلف أسعد بعمل زينات كهربائية .. وطلب من اللجنة الأدبية اعداد برنامج مناسب . وبعث الى السوق لشراء حلوى وجاتوه لحفل الشاي .. وأحضر بعض الأثاث من بيت السيد ولى الدين أسعد ، وكسرت يومها ترابيزة رخام من هذا الأثاث .. واجتمعت اللجنة الأدبية برئاسة حسن فقيها وأعدت برنامج الحفل .. وجادت قريحة مصطفى نصر الدين بقصيدة ، ولكن بعد اعداد البرنامج فرفضتها اللجنة ، وأخذنا نحمسه ضد اللجنة وضد حسن فقيها بالذات ، فتحمس وقال : انه سيلقى قصيدته على رغم اللجنة ، ثم رأى أن يشكو اللجنة للشيخ عمر .. ولكن الشيخ عمر لم يوافق على قصيدته،

فلمــا ألح عليــه مصطفى قال الشيخ عمر : (لو كنت سحبان فسوف أمنعك من القاء القصيدة) .

وجاء العصر وكان الاستعداد تاماً .. ونحن نشارك الزملاء في الاستعداد ، وقد ارتدينا ملابسنا عدا الكعكي الذى كان بملابس البيت .. وكان كلما غلبــه الضحك دخل غرفته وأوصد الباب وضحك ، ثم خــرج ليتفرج على الاستعدادات ، ورابط الشــيخ عمر عند البــاب في الوقت المحدد ، وكان يرافقه البادكوكوأسعد .. ومضت الساعة المحددة ولم يأت الزائر ، ولما طال الانتظار طلب الشيخ عمر السفارة السورية تليفونياً فردوا عليه بأن جميل بك (مرشح بالفرشة) فلم يفهم الشــيخ عمــر ما يقصدونه ، وطلب من هشام الرومي أن يفهمه فقال: انهم يقولون ان جميل بك مزكوم ونائم في الفراش وانه لم يعط هذا الموعد للزيارة .. وأراد هشام أن يتــكلم باللهجة المصرية فزجره الشيخ عمر وخرج الشيخ عمــر وهو يسب ويلعن وحوله البــادكوك وأســعد . وأعلن الخبر للطلاب فانهالوا على الحفلة أكلا .. والشيخ عمــر لا يزال في سخطه وسبابه ، وكان يقول : (طيب قولوا لى يا ناس المصاريف التى صرفناها نقيدها على أي بند ؟).

□■□

أصـــول الكشافة

كان الطريقي قد سـبقنا الى الابتعاث فوجـدناه في مصر ، وهو أكبر منا سـنأ وله لحيـة محترمة . فتوثقت بيننا أواصر الحب الممزوج بالاحـترام وكان طالبـاً في كلية العلوم وكنا في اعدادي الطب الملحق بكلية العلوم ، وكان الطريقي شـخصية محبوبة بين الطـلاب . وكان يساهم في نشاط الكلية ، ويكتب في صحيفتها بتوقيـع (أبو صخر) وقد سمى ابنه صخراً فيما بعد .. وأراد الطريقي أن ينقل جانباً من نشاطه الى البعثة ، فأخذ في تدريبنا على أصـول الـكشافة وواجباتهـا ، ورأى أن يجمع بين التدريب النظـري والتطبيق العلى ، فأقمنـا معسكراً في حلوان في النـادى الرياضى التـابع لوزارة المعارف..ونصبنا خيامنا وأخذنا في أسباب اللهو البريء والرياضة حتى اذا جن الليل وسـكن الزملاء ، تحـركت الخيام وخرج من تحتهـا جماعة الأشـقياء ، فأخـذوا ينزعون الخيـام فتغطى النائمين فيهـا بعد أن يلقى على النائمين ما يتيسر من التراب والحجارة الصغيرة . وكانت خيام الطريقي وباحجرى في مقدمة الخيـام المقصودة . وثارت ضجة وأخذ باحجري يسمعنا من السباب المعهود في سوق العلوي بجدة ، كما أخذ الطريقي ينتقد هـذه الروح ويلقى علينا درساً جـديداً في إصـول الـكشافة

وآدابها وظننا أن الموضوع انتهى عند هذا الحد ولـكنا فوجئنا في الليلة التاليـة باقتلاع جميع الخيـام وعندما بحثنا وجدنا أن الطريقي هو الذى قاد الحمـلة في تلك الليلة وقد أعجبته هـذه الطريقـة الكشفية الحديثـة ، وأدخلها في فصول الكشافة وآدابها .. ثم انفلت الحبل ؛ وأصـبحنا نتبع طرقنـا المـألوفة في رحلاتنـا وما كان أكثرها .

ويوم تخرج الطريقي أقمنا له حفلا في دار البعثـة ، وألقيت الخطب والقصائد المناسـبة .. وألقيت زجـلا أوله :

في مـرة جيت م الكليـه　　وجـدت زيطة عند الباب
اخوانا في روحـه وجيـه　　ومشغولين بسؤال وجواب
واللى نازل لى بطاقيـــه　　واللى يطرقـــع بالقبقاب
فقلت خـــير ان شاء الله كان

أول ما جاني عـــلى بالى　　ان العصـــابة عاملة هجوم
فقـــلت بالله ياابو عالى　　دى فرصة عمرها ماتدوم
ورحت أجـــرى طوالى　　على الزعيم أسـعد جمجوم
وقلت يا الله يا أبو ســـعدان

قامقال لى أعملك انا ايه　　هنىالطريقى يا ابنىروح
فقلت ياسيدى عـــلى ايه　　قال لى نجح وبقى مشروح
فرحت أجرى دغرى عليه　　هنيتـه بلسـاني والروح
وبقيت كده مبسوط فـــرحان

ثم تدرج الزجل الى حياته معنا في البعثة ، ثم وجهت اليـه نصيحـة عنـدما يعود الى المملـكة ليعمل (وهو متخصص في الجيولوجيا) فقلت :

ولمـا توصـــل أول يوم ويســـألوك ايش الأخبار
ان قلت أنا عندى دبلوم فيالأرض أو علم الأحجار
يروحوا مدينـــــك قدوم وتسير قرارى تشقى نهار
بريال حـــــرش أبيض رنان

وانقلتأنا أخصائيفيالزيت وفيـه قضيت كل التعليم
وياما تعبت ويامـا لاقيت حياتي سهد وجهـد عظيم
شوفوا لى شغلأفتح به بيت يروحـــوا مدينـك لغنيم (١)
تلعن وتقـــول ياريت ما كان

□■□

(١) غنيم صاحب معصرة فى مكة يعمل بها البغال والحمير ، وكان أهل مكة يتندرون بمن يدعى العلم فيقولون أنه متخرج من مدرسة غنيم .

النصائح التناسلية

وجدنا في أحد الكتب القديمة فصلا يحوي بعض النصائح التناسلية ، وفيه بحث طريف عن الطرق والأساليب فقررنا أن نطبع منه عدداً من النسخ نوزعها على موظفى وطلاب البعثة لتعميم الفائدة .. وذهبت مع أسعد جمجوم والكعكي الى محل خاص للطباعة على الآلات الكاتبة في شارع عبد الخالق ثروت .. وقدمنا الأوراق لصاحب المحل لطبعها وعندما بدأ الرجل في القراءة انسحب أسعد والكعكي ووجدت نفسى منفرداً فتشجعت وبقيت ، وأخذ الرجل يقرأ ثم يختلس الي النظرات فمطأنته أن هذه انما هي للدعابة مع اخواننا الطلاب فاقتنع . وخرجت لأجد أسعد والكعكي خارج المحل مستغرقين في الضحك .. وعدنا في اليوم التالى وأخذنا الأوراق وأودعناها البريد لجميع من في البعثة من السيد ولى الدين حتى أصغر طالب .. وأضفنا على النشرة حاشية : (لزيادة الاستيضاح اتصلوا بعنوان كذا) ، وكان هذا العنوان هو سكن البادكوك مع أبناء خاله عبد الله وحامد باغفار . ووصل البريد الى البعثة وبدأ التوزيع على الموظفين لأن الطلاب كانوا في كلياتهم في الصباح أما الأستاذ حمزة شحاته (وكان محاسباً للبعثة) فقد امتدح النشرة وما فيها من معلومات قيمة واستقبلها

بروح رياضية لم تخل من تعليق ظريف .. وأما السيد ابراهيم الوسية فقد ترك ما عنده من أوراق وجمع صغار الموظفين والخدم وأخذ يقرأ عليهم النشرة بصوت عال وبضحكاته وفكاهاته المعروفة .. وأما الشيخ عمر رفيع (مدير الادارة) فقد ابتسم لما فيها من معلومات طيبة وكان على (وش جواز) .. ولكنه ما كاد يعرف أن عشرات من هذه النشرة قد أرسلت للطلاب حتى ثار وأمطر الناشرين بسبابه المعهود وجمع النشرات فلم تصل لأحد من الطلاب .. وأما السيد ولى الدين (المدير العام) فقد حضر الى البعثة في المساء وأخذ يتصفح الرسائل التى حملها اليه البريد وكانت النشرة بينها ، وصادف أن كان أسعد واقفاً عنده وقتها ، فأخذ يقرأ النشرة وكلما انتهى من جملة اختلس نظرة لأسعد من تحت الورقة فلما انتهى منها مزقها وهو ساكت وألقى بها في سلة المهملات وأما البادكوك وأقرباؤه فقد تلقوا نشراتهم لأنهم كانوا يسكنون خارج البعثة وسروا لما جاء فيها من معلومات ومن نصائح .. وقرروا أن يستزيدوا من هذه المعلومات وأخذوا في الاستعداد لكتابة خطاب الى العنوان الذى حددته النشرة لطلب نصائح أخرى وأحضر البادكوك النشرة ليكتب العنوان على الظرف .. واكتشف أن العنوان لم يكن سوى بيته فارتمى على الكرسى وهو يقول (حسبي الله) ثم استغرق هو وأقرباؤه في ضحك طويل .

مع الطلاب

كان لنا مع اخواننا طلاب البعثة مظاهر نشاط متعددة ، وكان للبعثة اتحاد للطلاب ساهمت في انشائه واشتركت في لجانه وكان يضم لجنة أدبية ولجنة لمراقبة اعاشة الطلاب في البعثة وغيرها وكان السيد ولى الدين أسعد مدير البعثة يشجع انشاء هذه اللجان ويعطيها صلاحيات طيبة في مراقبة شئون البعثة ، وكان للبعثة حفلات كثيرة ، أهمها الحفل السنوي لتكريم الخريجين ، ومن أهم الحفلات التى أقمناها في البعثة حفلة تكريمية لسعادة السيد محمد طاهر الدباغ مدير عام المعارف الأسبق وكان قد حضر الى مصر للاستشفاء بعد أن انتقل من المعارف الى مجلس الشورى فأقمنا له حفلا كبيرأ قدمنا فيه لوحة تذكارية وقد سر سعادته لهذا التقدير الذى لقيه منطلابه وكان هذا بعض الواجب من الطلاب نحو رائد عظيم من رواد العلم في البلاد .

وبجانب هذا النشاط كان لنا نشاط آخر مع الطلاب خارج دار البعثة .. كنا نحب حضور المحاضرات والمناظرات خاصة في كلية الآداب بجامعة القاهرة ولعل جامعة الرياض تحقق هذه الأمنية التى يتمناها الناس لشغل أوقات الفراغ بما ينفع .

وكان لزملائنا الطلاب نشاط آخر كنا مجبرين على التفرج عليه .. كنا في اعدادي الطب وكانت محاضرات المرحوم الدكتور محمد ولى يحضرها طلاب الجامعة من طلاب الطب وغيرهم وكانت المحاضرات تلقى باللغة العربية في علم الحيوان .. وكانت المحاضرات تتميز بطابع المرح ويستغلها الطلاب وتمر المحاضرة بين التصفيق والصراخ والغناء ويحضر بعض الطلاب زمامير (وطار بشناشن) وينفعل الأستاذ وتمر المحاضرة دون أن نفهم شيئاً .

وكثيراً ما كان الطلاب يمتنعون عن الدروس لأسباب تافهة ويتدخل البوليس ويطاردهم وكثيراً ما أصابتنا هراوات البوليس ولا يكاد الطلاب يتركون الجامعة حتى تغص بهم دور الحفلات الصباحية .. وكثيراً ما كانت الجامعة تغلق لأيام طويلة ويتعطل التدريس ولكن المقررات هي المقررات والامتحان هو الامتحان ويتأرجح مصيرنا في الامتحانات مع مصائر الطلاب ، ولم تكن لنا ناقة ولا جمل في هذه المصائر التعسة .

لقد كانت سنوات مرح ومشاكل .. وان ذكراها لمن أحب الذكريات .. وكثيراً ما يحن الانسان الى الماضي ، ولكن هل من عودة ؟

□ ■ □

مزاد في باخـرة

كنا مجموعة من طلاب البعثـة اعتزمنا العـودة الى الوطن لقضاء اجازة الصيف .. ولم تكن الطائرات قد بدأ استعمالها في المواصلات بالصورة الحالية .. ذهبنا الى السويس وبحثنا عن أوتيل متواضع فوجدنا واحداً فى شارع فرنسا ، وبقينا فيه ثلاثة أيام ننتظر الباخرة .. وكان من المجموعة : أمين جاوة وأسـعد جمجوم وعلي غسال وحبيب كوثر وزين العـابدين الدباغ ومحمـد بادكوك وغيرهم .. وكانت صاحبة الفندق امرأة عجوزاً أجنبيـة .. وكانت تعاملنا بقسـوة وتطفيء الأنوار في وقت مبكر حتى لا نسهر .. فأردنا الانتقام منها وأخذنا نقضى حاجتنا الخفيفة في البلكون ، وفي احدى الليـالى علق أسعد قبقاباً في السارية الخاصة بالعلم وهذا يعرض الأوتيل لعقوبة شديدة . وكنا كلما تأزم الموقف بيننـا وبينها أرسلنا لها البادكوك فقد كانت علاقتها به طيبة، ويجلس البادكوك بجانبها ويقـول لها : (أنت تشبهين أمي) فتنفرج أساريرها وترضى عنا ، وكنا نتمشى يوماً في شوارع السـويس وقابلنـا بعض أهالى ينبـع ونحن نرتدي الملابس الأفرنجية فسألناهم السؤال التقليدي : (ينبع فيها منارة ؟) فدهشوا لأن هذا السر قد انتقل الى السويس وظنوا أننـا مصريون ومع ذلك فقد أجابونا

بالاجابة التقليدية أيضاً .. وأخيراً ركبنا الباخرة بعد أن اشترينا مقاضى الطريق فقد كنا نركب في الدرجة الثالثة على سطح الباخرة .. وفي الباخرة بدأ الانسجام وكنا في شهر رمضان ولكننا كنا مفطرين لأننا على سفر .. وكان معنا حاج هندي يحب أن يقرأ القرآن بصوت يظنه رخيماً فما نكاد نقول له ـ حتى وهو نائم ـ (قرآن شريف) حتى يهب جالساً ويأخذ في التلاوة ، وكنا لا نتركه ينام أبداً ، ولم نكن نحن ننام أيضاً فقد كنا في شغل شاغل بالمقالب والأذية .. ومن الطريف أنني زرت مع البادكوك الأستاذ أحمد قنديل بمكتبه في جدة ودخل علينا الحاج الهندي وكدنا أن نقول له على الرغم منا : (قرآن شريف) وتبادلت مع البادكوك النظرات ولكننا كتمنا شعورنا على مضض . وفي اليوم الأخير للرحلة بقيت عندنا بعض مواد التموين والأثاث فقررنا أن نقيم مزاداً ونبيعها ونتقاسم القيمة .. وكان من ضمن هذه المواد قلتان كبيرتان مما يستعمل في مصر لتبريد الماء ولها بزبوز فأغرينا زين العابدين الدباغ بشرائهما بعد أن عددنا له فوائدهما وما كاد يدفع القيمة حتى ألقينا القلتين في البحر .. أما البادكوك فقد اشترى قبقابين كبيرين بخمسة قروش مصرية بينما يساوى القبقاب الواحد في جدة ريالا ونصفاً وكان فرحاً بها ويتوقع أن والدته ـ رحمها الله سوف تفرح للحصول

على هــذين القبقابين . وهــكذا انتهت هــذه الرحــلة الطريفة وهيهات أن تتيسر لنا المتعة التى وجدناها في هذه الرحلة مرة أخرى .



محاكمة أسعد جمجوم

كان يوم الحفل السنوي للخريجين في دار البعثات بهيجاً في ذلك العام ، وقد رأس الحفل سمو الأمير عبد الله الفيصل ، الذى كان يزور مصر في ذلك العام . ومن أهم مظاهر ذلك الحفل قصيدة رنانة ألقاها الأستاذ حمزة شحاته وهو وان كان من فحول الشعراء فقد كان قليل الالقاء ولذلك كان عظيماً في القائه وفي معاني شعره في ذلك اليوم . وكان بين الخريجين في ذلك العام أسعد جمجوم فأردنا تحيته على طريقته الخاصة ولذلك وضع بين برنامج الحفل (محاكمة أسعد جمجوم) .

بدأت المحاكمة وكانت المحكمة مشكلة برئاسة أحمد المبارك وعضوية حسن بابصيل وعضو آخر لا أذكره الآن ومثل الادعاء العام عبد الله مراد ومثل الدفاع أنا والبادكوك وثالث لا أذكره الآن وظهر أسعد جمجوم فيطرف المسرح وقد أقمنا حوله قفصاً من أقفاص الدجاج لأننا لم نجد غيره .. وبدأ عبد الله مراد مرافعته بالجملة التقليدية : (حضرات القضاة . ان هذا المجرم الواقف أمامكم .. الخ) ثم أخذ يعدد حوادث أسعد ومقالبه وأعمال العصابة ويطلب التشديد في عقوبته وكان من ضمن حوادثه اشاعة خبر وفاة الشيخ حامد رويحي الذى

كان بين المدعوين للحفل مع عــدد كبير من الســعوديين الذين كانوا بمصر . ثم أخذت أدافع عن أســعد وأبين حسن نيته وأنه كان يريد اظهار شــعور النــاس نحــو الرويحي ونحو عمر عقيل الذى سنروى حادثته في فصل خاص من هذه الذكريات .. وكان أسعد مرشحاً لادارة المدرسة الصناعية بجدة ، ولذلك ختمت مرافعتى بأبيات أذكر منها ما يلي وأرجو أن يقرأها تلاميذ سيبويه بشيء من التسامح :

(ما عــــلى مثلك باس يجـــرح الدهر وياسو)
وأنت يا ابنى روح لشغلك ربك يــــرزقْ كل ناسُه
بكره تنجــح في الصنائع والتـــلامذة لن يقاسوا
اللى جيـــك ماشى حافي واللى جيْ من غـير لباسُه
قــــل لهم مصنعنا هذا جـردوه من فوق لساسُه
اللى يخرج شـــال لهُ فارة واللى راح وف ايده فاســه

الى آخره ..

ثم أصدرت المحكمة حكمها وهو يقضى بالبراءة لأسعد وباحالة أوراق الشيخ حامد رويحي للمفتى ..

□■□

قصة زواج

تمت خطبتي وأنا في المدرسة الثانوية ، والتحقت بالجامعة وأنا خاطب مع وقف التنفيذ . وفي أول اجازة صيفية لم أعد الى المملكة لأنى كنت أستعد لاختبار الدور الثاني . فلما جاءت الاجازة الصيفية الثانية ولم يكن لدينا اختبار وكان لا بد من عودتى الى المملكة ، كتبت لوالدى أنى أرغب في قضاء الاجازة الصيفية عندكم ، لكن على شرط عدم اتمام الزواج الا بعد التخرج ، فقد كانت هناك دلائل على أنه في النية عقد مجموعة زيجات في العائلة . فكتب لى الوالد يطمئنني بأن ذلك لن يتم وأن لى مطلق الحرية في الزواج أو التأجيل . جئت مطمئناً .. وبعد قضاء جزء من الاجازة بدأ الاستعداد للزواج وكان يضم أربعة عرسان وأربع عرائس من العائلة وكنت واحداً منهم .. فذكرت الوالد بالوعد .. ولكن العائلة أصرت على أن تتم جميع الزيجات أو تؤجل جميعها .. وأخذ الوالد يبذل لى النصح بطريق مباشر مرة وبواسطة الأقارب مرة أخرى .. وأخذت في الاعتذار خاصة وأن الزواج كان يعنى بالنسبة لى قضاء بقية الاجازة فقط مع الزوجة ثم العودة وحدى لاتمام الدراسة ، فلم تكن حالتى تسمح باصطحاب زوجتى معى الى مصر .. وهذا أهم ما كان يجعلنى أعارض في هذا

الزواج بالمراسلة . ولجأت الى ابن عمى ـ رحمه الله ـ للتدخل ولكن دون فائدة ، وتطور الموضوع وأصبحت طاعة الوالد ورضاه في الميزان .. ولذلك قبلت الزواج .. وأمضيت شهر العسل في جدة وكان خلال شهر رمضان، وبذلك أصبح لى دون خلق الله نصف شهر عسل فقط .. وعدت لاتمام دراستى .. وكنت أعود الى المملكة في الاجازات الصيفية فقط حتى وصلت الى السنة الدراسية الرابعة حيث لحقت بى زوجتى ومعها ابننا الأكبر .. وقد استقرت أحوالى الدراسية بعد ذلك .. وانتظمت مذاكرتى بعد الحبس الاضطراري في البيت . ورزقت بنتاً وأنا أؤدى الامتحان النهائي ورغم ذلك فقد أديت هذا الامتحان بنجاح تام ، وحطمت قول القائل : (ذبح العلم بين أفخاذ النساء) لقد كانت قصة فيها عبرة فانه رغم ظروفي الخاصة آمنت بأن زواج الأولاد يجب ألا يتم قبل انتهائهم من الحياة الدراسية (فليس المخاطر محموداً وان سلماً) .

□■□

حادث جلل ؟

وأي حادث يمكن أن يفوق خبر وفاة السيد عمر عقيل ؟ (أمد الله في حياته) .. لقد كانت تلك الشائعة فاجعة كبرى ، أظهرت ما للسيد من مكانة عظيمة في قلوب أبنائه ومريديه .. وكانت مبعث سرور ورضا في نفس السيد . أما كيف بدأت القصة ، وكيف انتهت فهذا ما سنقدمه في هذه الحلقة .

كان سمو الأمير عبد الله الفيصل يزور مصر للاستشفاء وله في قلوب الطلاب مكانة كبيرة .. فأقام طلاب البعثة حفلة كبرى له في دار البعثة .. وأصر السيد عمر يومها على القاء خطاب ارتجالى ، فألقى هذا الخطاب ، وكان مليئاً بالحكم والمواعظ (لا أراك الله) وكان من أطرف ما قاله : (انني لا أذيع سراً اذا قلت ...) وسكت فاشرأبت الأعناق لتعرف هذا السر الخطير فاذا به يكمل الجملة كما يلي : (اذا قلت ان الامتحان قد أصبح على الأبواب) .. وانتهت الحفلة فأقام لنا سمو الأمير حفلة شيقة في القناطر الخيرية وألقينا الخطب والقصائد والأزجال الفكاهية . وكنا نعدد المقالب التى عملناها في مدير البعثة والمراقب، فكان سمو الأمير يلتفت الى الأستاذ عبد الحميد حمدي

مراقب البعثة كلما جاء ذكر مقلب فيبادر الأخير قائلا : (لا . مش أنا ، لقد عملوا هذه المقالب مع غيري من قبل) .. فسكتنا وقد عزمنا على أن نتحف هذا المراقب الناصح بمقلب تاريخي لا ينسى ، وجاء يوم شم النسيم، فذهبنا في صباحه الى الاسكندرية أنا وأسعد جمجوم واثنان من أقاربه .. وفي الطريق قال أسعد : انه يفكر في ارسال برقية الى البعثة من الاسكندرية يخبرهم فيها بوفاة الشيخ صادق كردي مراقب البعثة في الاسكندرية فاعترضت ، لأن للشيخ صادق كثيراً من الأقارب في القاهرة وحرام أن نزعجهم .. واخترت أن نبرق بوفاة عمر عقيل وكان في بعثة الاسكندرية .. قضينا اليوم في البحر ولم نزر دار البعثة هناك ولم يرنا أحد ، وبعد الظهر قصدنا الى مكتب تلغراف سيدى جابر ، وتهرب أسعد وأقاربه وتقدمت الى شباك البرقيات وقدمت برقية تقول : (توفي عمر عقيل بحادث . الجنازة باكر والتوقيع صادق كردي) وسألني عامل التلغراف عن الحادث فأخبرته أنه حادث ترام وقدم لى التعزية اللازمة .. وعلى الفور عدنا الى القاهرة فوصلنا اليها قبل وصول التلغراف ، وقد زار أسعد البعثة في القاهرة وتأكد من ذلك . وكنت أسكن مع أسعد في بيت خارج البعثة ولم يرنا أحد ونحن نسافر الى الاسكندرية .. ووصلت البرقية الى دار البعثة واضطربت . وكان

للمراقب قـريب في مجلس الوزراء واهـتزت أسـلاك التليفون بين القاهرة والاسكندرية لسؤال المستشفيات والمشارح .. فعلم أن جثة وصلت للمشرحة في المستشفى الأميري وأن طلاباً من البعثة السـعودية بالاسـكندرية سألوا عنها (وهذا لم يحدث طبعاً ولكن عامل المشرحة في الاسكندرية ذكرها فجاءت مناسـبة للمقام) .. وأخـذ الدكتور عمر أسـعد يتصـل هو الآخـر بمستشـفيات الاسكندرية للتأكد .. وأخيراً اسـتقر العزم ، وسـافر المراقب ومعه هاشم ومحمد الدباغ وغيرهم ولم يجـدوا في ذلك الوقت وسـيلة للسفر الا قطار البضـائع الذى يقف في كل محطة ، ووصلوا في وقت متأخر من الليل.. أما أنا وأسعد ، فقـد كنا نغط في نوم عميق في دارنا ، وجاءنا الدكتور عمر أسـعد والدكتور حامد هرسـاني يسألون عن الموضوع فقالوا : لمـاذا لم تحضروا الى دار البعثة أو تسافروا ، فقلنا اننا متعبون فقد قضينا اليوم في القناطر ، ومن الطريف أن أحد الزملاء شهد أنه رأى سـيارة أسـعد في القنـاطر .. ووصـلت الحمـلة الى الاسـكندرية فـلم يجدوا أحـداً في البعثة فتأكد الأمر لديهم ، وبعد قليل وصل عمر وهو يترنم وقال : (لقد شهدت الليلة نمراً لطيفة) .. وعادت الحملة .. وأوقف المراقب مخصصاتي ومخصصات أسـعد .. لقـد أعطى موظف التلغراف بالاسكندرية أوصافي .. ولكن المراقب

كان خجلا من هذا المقلب الذى تورط فيه ، فلم تمض أيام حتى أعاد لنا مخصصاتنا .. واستعدنا ثقة عمر وحبه بعد أن أخبرناه أننا لم نقم بهذا العمل الا ليتأكد من ولاء الأصدقاء والمريدين .



القبض على رئيس العصابة

كان زين العائش من الشخصيات اللطيفة في البعثة ، وكان لـه أقارب بمصر يزورهـم في الأرياف ، ويأتي محملا بالأغذية ؛ ولذلك كان هدفاً لأعضاء العصابة حتى أننا ذات مرة لم نجد في خزانته الا بصلا وملحاً فصادرناه .. وكتب مرة لحسين العطاس كتاباً كله تأنيب وتقريع ، وكان أسلوبه انشائياً ، فأعاده اليه العطاس مع تأشيرة (شـاطر في الانشـاء ٩/١٠) .. وفي بعض الأيام كان العائش يلبس بدلة رياضية ويمسك مضرب التنس ويقول : (اليوم عندى ماتش تنس) ثم يتضح بعد التحرى أنه لا يعرف تنس ولا حاجة ، ولا يعرف من التنس أكثر من لبس البدلة وحمل المضرب..وأحياناً يبكى ويلبس كرافتة سوداء ويقبـل التعـزية في قريب له : ويظهر أنه لم يمت له أحد ؛ حتى أننا ضيقنا عليه ذات مرة وقلنا له : يجب أن نذهب معك للعزاء ولبسنا كرافتات سوداء وأخذ يدور بنا من شارع لشارع حتى ذهبنا الى دار فيها مأتم فدخلنا وخرجنا دون أن يعرفنا أو يعرفه أحد ، وتأكدنا من أنه لا يعرف الميت وليست له أية صلة أو قرابة لعائلته .. لقد كان يحب أن يتظاهر بالحزن حتى يكون موضع عطف واشفاق من زملائه .. وقد وفق ذات مرة في القبض على أسعد جمجوم .. اختبأ

تحت السرير ، بعد أن أحضر بعض المأكولات من العزبة، ودخل أسعد الى الغرفة ليأخذ الغنيمة فاذا بالعائش يظهر من تحت السرير ، ويلقى القبض عليه .. ولكنه كان زميلا لأسعد في المدرســة فسرعان ما أوهمه أســعد بأنه مشترك في العمل مع سعيد آدم وعلوى جفرى ، ولحسن المصادفة وجدا سعيد آدم في الدرج ينادى على أســعد ، فصح ظن العائش وردح لسعيد آدم بما تيسر .. واتفق العائش مع أسعد اتفاقاً سرياً وخطيراً . فقــد تعهــد له أسعد باخباره عن حركات العصابة ووقت هجومها عليه .. وفي يوم بارد أخبره أسعد أن العصابة سوف تهاجمه في ذلك المســاء .. وقضى العائش المســكين الليلة تحت السرير في انتظار العصــابة ؛ وعند الصــباح عرف أن الموضوع ما هو الا مقلب كلفه قضاء الليل تحت السرير.

□■□

مقالب خفيفة ..؟!

كان عبد الله مراد مصاباً بداء التشنج ـ خاصة عندما يكون مفلساً ـ وكان ينتهز فرصة الصلاة ثم يتشنج بعدها ، ويرق السيد ولى الدين لحاله ويعطيه سلفة على حساب الراتب .. وكان زميلا لأسعد جمجوم في المدرسة ، وكان أسعد يستحمل منه شتائمه وأذيته في المدرسة لئلا يتشنج ، حتى اذا ركبا على سلم الترام أخذ أسعد ينتقم ويشتم والمراد مغلوب على أمره ، وليس في امكانه أن يتشنج ويترك يده الممسكة بالترام لئلا يقع .

وكان أسعد قد طبع مجموعة من الأبواك باسم (مكتبة الشناوي) ومجموعة أخرى باسم (علي اسماعيل ـ تاجر وترزي) ، وكان لنا مخصص كتب في البعثة ومخصص لملابس العمل في الكليات العملية ، فكنا نلجأ لأسعد حتى نستنزف هذا المخصص ونأخذ منه فواتير تارة باسم مكتبة الشناوي وأخرى باسم علي اسماعيل ونقبض الفلوس من البعثة . وكان السيد ولى الدين يعرف ذلك ولكنه يتجاهل . فمرة قدم له أسعد فاتورة من هذه الفواتير ، فما كان من السيد ولى الدين الا أن أخرج من درجه طوابع دمغة وقال لأسعد : (لقد نسى الرجل وضع الدمغة) وألصق الدمغة وأمر بالصرف . ومرة كان في السوق مع أسعد فقال له : (أرنى مكتبة

الشناوي) فأخـــذه أسعد في مشوار طويل حتى أتعبـه وأخيراً وقف به عند دكان مقفول في الأزهر وقال : ان هذه هي مكتبة الشناوي ولـكنها مقفلة . ولعل أسـعد يحتفظ ببقـايا هذه الأبواك فيقـدمها لطلاب البعثات الحاليين .

ومرة كلم أسعد (حانوتي أقباط) بأن عنده ميتـاً وأعطاه عنوان البعثـة ، وحضر الحـانوتي ومعه عربة النعش التى يجرها عدة خيـول وهي محلاة ومزينـة ، واسـتقبل حمزة أبو شنب البـواب هذه الحمـلة أسـوأ استقبال ، وذهب الحانوتي حانقاً بعد أن عرف أن هذه هي دار البعثة السعودية ، وليس من المعقول أن يكون فيها ميت مسيحي ، وأن اسم (الخواجا ولى أسعد) الذى أعطى له لم يكن الا مقلباً قصد به مدير البعثة .

وكنت مرة أسكن مع البغدادي في غرفة واحدة وبعد أن تناولنا العشاء حضرنا الى الغرفة فاذا دخان كثيف ينبعث منها ورائحة حريق ، فأخـذنا نرمى فراشـنا في الخارج وأسعد والزملاء يساعدوننا وتطـوع بعضـهم برش الفراش والمـلابس بالمـاء ، ولكننا لم نجد أثراً للنار . وأخيراً تبين لنا أن أسعد جمجوم أحرق خرقة في غرفتنا ثم أطفأها ولما ملأ دخانها الغرفة أقفل الغـرفة بعد أن ألقى بالخرقة في دورة المياه ، وهكذا خيل الينـا أن في الغرفة حريقاً كبيراً ولكننا لم نجد له أثراً وبتنـا على فرش مبتلة ونشرنا ملابسنا حتى جفت .

هــل تعـلم ..؟

○○ أن البادكوك عندما كان يشــهد روايات يوسف وهبي ينخرط في بكاء مسموع كلما رأى منظراً محزناً ، ثم لا يلبث أن يراجع نفســه ويقول بصوت مسموع : (يا واد يا محمد بلاش قلة عقل ، هــذا كله تمثيــل في تمثيــل) .. ثم لا يلبث أبو حجــاج أن يميت ضــحية أخرى ، فيعاود البادكوك البكاء ويعود المنظر السابق .

○○ وأن أول لقاء كان بين المنيعي ومحمد عبد الهادي كان في الطور وهما في طريقهما الى مصر ، وتم التعارف في الليل وفي الصباح أكل عبد الهادى علقة من المنيعي وساءت العلاقات بينهما ولا تزال سيئة حتى الآن ، رغم مساعى أهل الخير .

○○ وأن محسن باروم أول ما حضر الى مصر ، كنا نتمشى معه فلمح عربة حنطور وأحب ركوبها فقلنا له : لا مانع ، ولما سألنا بماذا ينادون سائق العربة في مصر ؟ قلنا انهم يسمونه (أبو لبن) .. فأخذ البــاروم يناديه بهذا الاسم بلغة عربية فصحى كعادته ، ولوح الحــوذى بكرباجه وأنقذنا الباروم في اللحظــة الأخيرة قبــل أن يصيبه الكرباج .

○○ وأن معتــوق باحجــري كان أكبرنا سناً وكان

أستاذاً سابقاً لبعضنا كالبادكوك وحسنى بخش ، ولذلك كنا نسميه (الشيخ معتوق) وكان ـ جزاه الله خيراً ـ لا يضن علينا بالتثقيف والتوجيه ، ومن ذلك أنه علمنا طريقة المشي الفني وهي طريقة بسيطة تتلخص في أن يمشى الانسان دون أن يحرك شيئاً من نصفه الأسفل باستثناء الرجلين طبعاً .. وتصور الباحجري وهو يتأكد من أننا نطبق القاعدة .

○○ وأن السيد ولى الدين مدير البعثة كان يمنعنا من الخروج من البعثة يوم شم النسيم ، فنجلس في في البلكون نتفرج على العربات الكارو وهي تحمل العوائل البلدية وهم يغنون ويرقصون على أنغام (سلم عليّ) .. ويتحمس البادكوك وحسنى بخش للمنظر فيتحزمان ويعيدان المنظر لنا في البعثة ونحن نغنى (سلم عليّ) ونصفق للزوج غير المتناسق .

○○ وأن حسين العطاس وشلته وهي عادة تتكون من أسعد جمجوم وحسن فقيها ومحمد علي البكري عندما كانوا يفلسون يمرون علينا بأوراق للتبرع لشخص وهمي مريض في المستشفى ويجمعون مبلغاً محترماً ، وذات مرة أخذوا من البعثة دواليب ومفروشات وباعوها في الكانتو وتقاسموا المبلغ الذى أخرجهم من أزمة مالية.

□■□

هل تصـدق ..؟!

□□ أن بعض الزملاء مثل شرف كاظم وحسن فقيها وحامد هرساني كانوا يتفننون في الحديث باللغة المصرية ويغالون فيقولون (الآرورة) يعنى القارورة و (الأعاع) يعنى القعقع و (المنأة) يعنى المنجة .. وأن الباحجري روى لنا أنه كانت عندهم جارية تصاب بالجنون فتـأكل لحافاً بأكمله ..

□□ وأن الطريقى كان ينـام على سرير حديد دون مرتبـة أو شرشف بل على الحـديد مبـاشرة امعـاناً في التقشف ..

□□ وأن أحمد المبارك سمعه أبو السعود الابيـاري وهـو يغنى فبشره بمسـتقبل طيب في عالم الغنـاء ـ لا قدر الله ..

□□ وأن محمد حسـين أصـفهاني كان في مدرسـة الفلاح بجدة مقرىء الفصل والمؤذن للصلوات ، أدام الله عليه نعمة التقوى .

□□ وأن حسنى بخش وعبـد الله أبو العينـين كانا يسكنان في البعثة في غرفة واحـدة ولهما منهج واحد في الحياة ، ويتعاونان في كل شىء حتى في عمل الطرنبة .

□□ وأن غرفة عبـد اللطيف جمجـوم كانت تفتش يومياً وتنبش ملابسه بحثـاً عن مسروقات الأكل ، لأن أسعد جمجوم كان يسكن معه بالغرفة حتى أنه رجا مدير البعثة بأن ينقل أسعد الى غرفة أخرى .

□□ وأن حسن بابصٰيل كان يسكن في غرفة وحده ، ففتح عليه البغدادي الباب فجأة وكب في الغرفة كيسـاً من النورة البيضاء فانتشرت في الغرفة وخرج البابصيل وهو أبيض وتماسك مع أسـعد جمجوم ظنـاً منه أنه غريمه .

□□ وأن البابصيل أرسـل مرة مع حامد دمنهـوري زجاجات شرباتهدية لأهله فصادرتها البعثة ولم يستطع التفتيش أن يدل عليهـا ، وقد تبـودلت على أثر ذلك مكاتبات بين البابصيل والدمنهوري وأسعد جمجوم تعد من عيون الأدب العربي .. في الردح ..

□□ واننا أثناء الغارات على مصر كنا ندير غارات أخرى في دار البعثة كان هدفها حامد هرساني وهو من الخوافين فكان يلجأ الى سريره ويتغطى ويتلو أدعيـة الطواف والحج التى حفظها طيلة حياته .

□□ وأن الحـاج راضى بقال البعثـة ـ وكان رجـلا وقوراً متديناً ـ ولكن الطلاب كانوا يشكون من معاملته ويدبرون له المقالب ، وفي ذات مرة كلمه أسعد جمجوم على أنه السيد ولى الدين وطلب منه الحضور لبيت السيد

ولى الدين ومعه فكة مائة جنيه ، وحمل الرجل الفكة وسار ثلاثة كيلومترات حتى وصل الى بيت السيد ولى الدين . وظهر أن الرجل الطيب كان هدفاً لمقلب ضحك له السيد ولى الدين كثيراً .

□□ وأن عبد الحميد حمدي مراقب البعثة الذى لقى الأمرين من مقالبنا ، وكان ينقل عن الطلاب أخباراً ملفقة انتهى كمراقب للبعثة بفضل جهود عدد من الطلاب ، وقد أسدل الستار على مساعيهم الطيبة .

□■□

ختــام ...

وأخــيراً تنتهى هــذه المــذكرات التى سردتهــا من الذاكرة ، والتى بدأت في كتاب السيد محمد عطية بجدة حيث كنــا نســتعمل اللوح في القــراءة والكتابة ولحس السويك والسمسم ، وانتهت في الجامعة .. لقــد كانت حياة لذيذة مليئة بالذكريات اللطيفة .. وانى لتتمثل لذاكرتى تلك الأمسيات الحــلوة التى كنا نترقبها للعب كرة الشراب بجوار بيت القنديل بجدة لنعود الى منازلنا ملطخين بالتراب والعرق .. وتستعرض الذاكرة شريطاً آخر في دار البعثة بمصر ؛ ونحن ندبر المقــالب ونردد أغنيــة (نبوية أيا نونو) فنفســد على زيني العــائش جلسته الهادئة .. ثم يمر بي الاســتعراض على أســعد عزوز وهو مغطى بالأغطية أيام البرد لا يبرح دار البعثة ليلا أو نهــاراً .. أو وهو في البــاخرة دائخ لا يتنــاول طعاماً ويلازم غرفته حتى اذا هدأ البحر وصعد معنــا على السطح تظاهرنا بالدوخة وتمايلنا يمينــاً ويســاراً فيدوخ ويعود مسرعاً الى غرفته .

ولقد أمدنى الزملاء بكثير مما حوته هذه المذكرات ، وكان البادكوك في المقــدمة فذكرنى بكثير من الحــوادث حتى التى تخصه ، فلما كثر ذكره بادرنى ببرقية يقول فيها : (.. الناس أزعجوني تليفونياً وحضورياً يسألون

عن البادكوك والكلسون ودكة السروال ومن هو ابن سينا فهوّن رعاك الله) . وأعتقد أن كثيراً من الذكريات الطريفة لم أشهدها فلعل من حضروها ينشرونها للذكرى ..

وانى لأشكر الصديق طاهر زمخشري الذى كان المشجع على كتابة هذه المذكرات .. وأشكر جريدة « البلاد السعودية » التى أفسحت من صدرها لها . كما أشكر الأصدقاء الذين كانوا يتتبعونها ويروون تفاصيلها في مجالسهم ويبدون من الاهتمام بها ما جعلنى أواصل النشر رغم مشاغلى ..



محتويات الكتاب

صفحة

تقـــديم ٣
مقدمة الطبعة الأولى للمرحوم الأستاذ أحمد قنديل ٥
مقـلب ٩
أول اتصال بالصـحافة ١٢
أول درس انجليزي ١٥
سرقت قلماً ١٨
حبل من الله وحبل من الناس ٢١
علمني أبي ٢٤
بركاً على الركب ٢٦
العصا في ذمة التاريخ ٢٩
أضعت البرنجية ٣٢
ليلة في الدهليز ٣٤
آخر علقـة ٣٧
الحج على الحمير ٤٠
ليفة بادكوك ٤٣
النجاة .. النجاة ٤٦
نزهة فمحاكمة فتوبة ٤٩
المدير العصري المحافظ ٥١
صلاة الميت الغائب ٥٣
المدير الذى غضبا من أجله ٥٦
أمير القهوجية .. والبريد المكبوس ٥٩
الشباب الناهض ٦١
أحببت التدريس .. ولكن الله سلم ٦٤
قد يكون وقد لا يكون ٦٧
بسم الله مجريها ومرساها ٧٠

صفحة

رحلة في الظلام ٧٢
الليلة الأولى في مصر ٧٤
مثلت دور العبيط ٧٧
على أبواب الجامعة ٧٩
ترام رقم ٢٢ ... ... ٨١
السلف والخلف ٨٣
على عربية كارو ٨٥
الكمسارية اشتكوا ٨٧
تشكيل العصابة ٩٠
أول اذاعة سعودية ٩٢
دفتر الضبط ٩٥
من حوادث العصابة ٩٧
الأطباق الطائرة ١٠٠
فلسفة الفلسفة ١٠٢
عرق .. ودموع ١٠٥
أول خبر وفاة ١٠٨
فرق التحريض ١١١
زواج أبو شفوع ١١٣
باباشارو ١١٦
مقامات الساسى ١١٨
بط الشيخ عمر رفيع ١٢١
يوم البلاد السعودية ١٢٥
تجارب المطر الصناعي ١٢٧
قائد الملحق ١٣٠
رسائل الأشواق ١٣٢
الضبط والربط ١٣٥
توحيد المشارب ١٣٧

ظهور الاشباح ١٤٠
منظر في شيكوريل ١٤٣
في الأقصر وأسوان ١٤٦
البادكوك يحمل السلاح ١٤٩
مشروعات زواج ١٥٣
الزيارة المزعومة ١٥٧
أصول الكشافة ١٥٩
النصائح التناسلية ١٦٢
مع الطلاب ١٦٤
مزاد في باخرة ١٦٦
محاكمة أسعد جمجوم ١٦٩
قصة زواج ١٧١
حادث جلل ١٧٣
القبض على رئيس العصابة ١٧٧
مقالب خفيفة ..؟! ١٧٩
هل تعلم ..؟! ١٨١
هل تصدق ..؟! ١٨٣
ختام ١٨٦

الطبعة الرابعة

١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م



